

شعر الفروسية لدى المتنبي والمعري دراسة مقارنة

د. عبير عبيد الشبيل *

المخلص

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن الجانب المادي للفروسية: (وصف الخيل، وآلات الحرب)، وكذلك الجانب المعنوي للفروسية: (أخلاق الفارس العربي) في شعر الفروسية في (ديوان المتنبي)، وديوان (سقط الزند) للمعري: دراسة مقارنة، والكشف عن الخصائص الفنية لشعر الفروسية لدى كل منهما، وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي النقدي، كما تعرضت الدراسة لمفهوم الفروسية: لغة، واصطلاحاً، ونشأتها في البيئة العربية، وخصائص الفروسية المادية والمعنوية لدى الفارس العربي، وتم عرض نماذج من شعر الفروسية لدى كل من الشاعرين: المتنبي والمعري، وختمت الدراسة بتحليل الخصائص الفنية لشعر الفروسية لدى الشاعرين، وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

أن شعر الفروسية - بجانبه: المادي، والمعنوي - قد احتلّ المقام الأول في ديواني المتنبي والمعري؛ مقارنة مع الأغراض الشعرية الأخرى، فقد ضمّن الشاعران شعر الفروسية من خلال أغراض: المدح، والفخر، والرثاء، والهجاء، والوصف، والحكمة، وقد بذل الشاعران كلاهما طاقاتهم: اللغوية، والتعبيرية، والتصويرية بشكل رائع في: وصف الخيول، وفنون ركوبها، والسيوف، والرماح، كما تغنوا بالقيم السامية المجيدة التي تحلى بها الفارس العربي من: القوة، وشدة

* د. عبير عبيد الشبيل: جامعة العلوم التطبيقية - إربد - الأردن.

البأس، والكرم، والمروءة، والعفة، ما يدلّ على أن الشعاعين متمكانان من فنهما شكلا، ومضمونا، وأنهما نسجا على منوال غيرهما من شعراء العرب في الجاهلية: كعنترة بن شداد، وغيره.

وتوصي الباحثة أن يتم تضمين أشعار الفروسية العربية في مناهجنا التعليمية؛ لما تحمله من آثار نفسية إيجابية على أجيالنا، وما تدعو إليه من قيم سامية، ناهيك عن ربطها بتاريخنا المجيد.

الكلمات الدالة: الفروسية، شعر الفروسية، الجانب الماديّ والجانب المعنويّ لشعر الفروسية

ABSTRACT

This study aimed at investigating the material side of horse ship verse as: (describing horses, swords, and other weapons), also the effective side of horse ship, as: (athletics), this study used descriptive, analytic, and critical curriculum for investigating these sides of horse ship verse, the results was: The horse ship poems described all kind of horses,swords, and other weapons, also the two poetries (Mutanabbi, and Al-marri) mentioned the good characteristic of the arab horsemen ,as championship, brevity, The researcher recommended the educational specialist to involve these concepts in school textbooks.

Key words: Horse ship, horsemen, brevity, championship.

مقدمة:

تعلقت قلوب العرب بحبّ الفروسية، وإجادة فنون الحرب والقتال منذ الجاهلية؛ نظراً إلى طبيعة بلادهم الصحراوية، وتعصبهم لأمجاد قبائلهم، وعاداتهم من الأخذ بالثأر، أو الأنفة من أيّ ظلم يحلّ بهم.⁽¹⁾

ولا شك أن دراسة أشعار الفروسية في التراث العربيّ تكشف لنا بعض القيم الاجتماعية التي كانت سائدة في تلك الحقب التاريخية؛ إذ إن الأدب مرآة المجتمع، يعكس خصائصه الفكرية، والروحية، والأدبية، ومن خلاله تبرز جوانب التأثير والتأثير بين الشعراء، ولم يكن الفارس العربيّ يعدّ فارساً حتى يتسم بالأخلاق الفاضلة الكريمة، والقيم الإنسانية النبيلة من: الشجاعة، والكرم، والعفة؛ إضافة إلى قوته الجسدية، وامتلاكه لفنون ركوب الخيل، والمبارزة، ومباشرة القتال في المعارك⁽²⁾.

وترى الباحثة أن الفارس العربيّ تميز بالقيم النبيلة من صفات: الكرم، والتسامح، والعزة، والعفة التي جعلته يسمو على غيره من فرسان الأمم الأخرى التي تقدس القوة المادية، وشدة البطش والفتك، وتركز على ظلم الأعداء، وإبادتهم، وهتك أعراضهم، وتدمير مقدساتهم، وطمس معالم حضارتهم كما فعل الغزاة مع بلاد المسلمين، وغيرهم من شعوب الأرض.

وحتى يخلد الشعر، ويساير الحياة البشرية، ويوجهها، فلا بد له أن يُعلي من شأن القيم السامية، وينادي بالفضائل النبيلة، التي تدعو إلى العزة، والشرف،

(1) - أبو ناجي، محمود حسن عبد ربه، الحرب في شعر المتنبي، ط2، دار الشروق، السعودية، 1980، ص288.

(2) - بومزار، فوزية، مفهوم الفروسية في التراث العربي وأثره في فروسية القرون الوسطى في أوروبا، دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والإعلام بغداد، 1986، ص7.

والكرامة، والمروءة، والشهامة، والتسامح، والعفة، والتي تعيش مع الإنسان في جميع الأزمنة، والبيئات المختلفة، وهذا ما يمكن أن نلمسه عند الشاعرين المشهورين: المتنبي والمعري، فالمتنبي والمعري كلاهما يتلاقيان في كثير من الصفات الروحية، والفنية من: عظمة النفس، وقوة الروح، وجيشان العاطفة، والطموح، ورسم الصور البارعة في أغراضهما جميعها: معنى، ولفظاً..⁽³⁾

والصراع بين الحق والباطل سنة كونية منذ أن وطئت قدما آدم هذه الأرض، ومن المشاهد يومياً توالي الاعتداءات على أعراض العرب والمسلمين، وأوطانهم، وعقيدتهم من قبل الصهاينة، والصليبيين، والمنافقين؛ ما يستدعي الاهتمام بالقوة بكل أشكالها، وفنونها كافة، ومنها: نشر أشعار الفروسية العربية في مناهجنا التعليمية، كيف والقرآن الكريم يحثنا على الإعداد، والقوة، والأخذ بالأسباب المادية والمعنوية للفروسية. وما أحوجنا نحن المسلمين أن نتربى أجيالنا على أشعار الفروسية بعامة، وأشعار المتنبي والمعري بخاصة، وتتمثله شجاعة، وحماسة، وجندية، وقوة، وصموداً في مواجهة أعدائنا⁽⁴⁾.

مفهوم الفروسية لغة، واصطلاحاً:

إن الفروسية، والحماسة، والفتوة هي أساس المكارم العربية، وقد تضمنت هذه المفاهيم الثلاثة صفات: الشجاعة، والمروءة، والبطولة، والكرم، والنخوة، والفروسية في لغة العرب تقتضي بأن يكون الفارس العربي ذا رأي، وحنكة، وبصيرة بالأمر⁽⁵⁾.

⁽³⁾ - الخوارج، زهدي صبري، موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي

العلاء المعري، ط1، دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، الرياض، 1982. ص33

⁽⁴⁾ - أبو ناجي، محمود حسن عبد ربه، الحرب في شعر المتنبي، مرجع سابق، ص11

⁽⁵⁾ - سلامة، محمد أحمد، الخيل والفروسية، دار الفكر العربي، مصر، 1993، ص15

والفروسية: مصدر صناعي مشتقة من الفعل الثلاثي فَرَسَ: أي دَقَّ العنق، ومنه الفَرَس: لدقه الأرض بجوافره، قال الهميري: ولفظها مشتق من الافتراس؛ لأنها تفترس الأرض بسرعة مشيها⁽⁶⁾. وجاء في لسان العرب: فَرَسَ الذبيحة، يفرسها: بمعنى فصل عنقها، والفارس صاحب الفرس على إرادة النسب، والجمع فرسان وفوارس⁽⁷⁾، ومنه قول عنتره:

ولقد شَفَى نفسي وأَبْرَأَ سُقْمَهَا..... قِيلُ الفوارسِ: ويك: عنتر، أقدم⁽⁸⁾

وفرس الأسد فريسته فرساً: صاها، وقتلها، وفرس الأمر فراسة: أدرك باطنه بالظن الصائب، فهو فارس، وفرس فراسة، وفروسة، وفروسية: حذق أمر الخيل، وأحكم ركوبها، فهو فارس بالخيل، وفارسه مُفارسه: غالبه في الفروسية، وتفرس في الشيء: نظر وتثبت، يقال تفرس في الخير: رأى فيه مخايل الخير، والفرسان في الجيش: المحاربون على ظهور الخيل، والفراسة: المهارة في تعرف بواطن الأمور من ظواهرها، والفرس: واحد الخيل، الذكر والأنثى في ذلك سواء، جمعها أفراس وفُروس، والفريس: القتل يستوي فيه المذكر والمؤنث وجمعها فرسى كقتلى⁽⁹⁾. والفارس والفروس والفراس: الأسد، وأبو فراس: كنية الأسد⁽¹⁰⁾.

ويلاحظ من هذه المعاني المتعلقة بالجزر اللغوي وتصريفاته أنها تدور حول الجانب المادي للفروسية، لكن هناك جانباً مهماً آخر للفروسية لم يذكر، وهو

(6) - سلامة، محمد أحمد، الخيل والفروسية، مرجع سابق، ص 17

(7) - ابن منظور، أحمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2001، مادة فرس

(8) - عنتره، ديوان عنتره، ط2، المكتبة العلمية، بيروت، 1993.

(9) - أنيس، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، ط2، دار القدس، مصر، 1972، مادة فرس

(10) - الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (-817هـ)، القاموس المحيط، ط1، شركة القدس

للنشر والتوزيع، مصر، 2009، مادة فرس.

الجانب المعنوي المتمثل في: القيم السامية، والأخلاق النبيلة التي كان الفرسان العرب يتحلون بها⁽¹¹⁾.

ويمكن الاستنتاج أن جذر الفروسية يدور حول معان ثلاثة، هي: القوة في الصيد أو القتل، أو القوة والحزق في ركوب الخيل، أو القوة في معرفة بواطن الأمور وظواهرها، والفروسية هي القوة بكل أشكالها، وكلها صفات توافرت في الفارس العربي الذي أخذ بمبدأ القوة في كل هذه الأشكال الثلاثة.

وتقصد الباحثة بشعر الفروسية في هذه الدراسة: تلك الأشعار التي مجّدت الجانب المادي من آلات الحرب: كالخيل، وفنون ركوبها، والسيوف، والرمح، وفنون القتال بها، ويشمل أيضا الأشعار التي مجّدت الجانب المعنوي لأخلاق الفرسان العرب، من: شجاعة، وقوة، ومروءة، وعفة، إذ لاحظت الباحثة أن هناك خلطاً عند بعض أدباء العربية بين مفهومي أشعار الحرب وأشعار الفروسية، والحقيقة أن أشعار الفروسية عند العرب أعمّ من أشعار الحرب التي اقتصرت على وصف المعارك والبطولات القتالية فقط، بينما اشتملت أشعار الفروسية على مدح الفرسان، وتمجيد بطولاتهم، وأخلاقهم السامية، ورثاء الفرسان بذكر شجاعتهم وفروسياتهم، وكذلك الفخر بما يمتلكه الشاعر من قدرات قتالية وجرأة وإقدام، إضافة إلى وصف المعارك، وهجاء الأعداء المهزومين، وهذا يعني أن شعر الفروسية يدخل في أغراض: المدح، والفخر، والرثاء، والوصف، والهجاء، والحكمة.

وهناك عوامل جعلت ظاهرة الفروسية تلازم العربي منذ الجاهلية؛ إذ كانت ظاهرة بارزة من مظاهر الحياة العربية؛ نتيجة للظروف الاجتماعية، والجغرافية، والاقتصادية الصعبة، فكثرة الحروب بين القبائل العربية، وانتشار الغزو والسلب

(11) - بومزار فوزية، مفهوم الفروسية في التراث العربي، مرجع سابق، ص25

والنهب بينها جعلت من الفروسية أمراً لازماً⁽¹²⁾، وعندما يحلّ الجفاف وينعدم العشب يصبح التحدي والغزو وسيلة للبقاء على قيد الحياة، ناهيك عن طبيعة الحياة الصحراوية القاسية، والمبالغة في الانتماء إلى القبيلة العربية، وعادة الأخذ بالتأثر، والفخر بالنسب والذات، كلها عوامل ساعدت على نشأة الفروسية، وكانت القوة شرطاً لها، ولذلك كان الفارس مفخرة من مفاخر قومه، يعتزون بها، إذاً فطبيعة الحياة العربية جعلت العربيّ فارساً مقاتلاً⁽¹³⁾.

ومن أنبل خصائص الفروسية العربية النبيلة التي تمثلها الفارس العربيّ منذ القدم تلك الخصائص الاجتماعية، والإنسانية، ومن أهمّها: حماية الضعيف، ونصرة المظلوم، إذ كان يدافع عن البائسين، وينصر الخير، ويقاوم الشر، ويغسل العار، وكان للعرب بعد ظهور الاسلام هدفٌ نبيل آخر هو نشر العقيدة الاسلامية السمحة، التي تكرم الإنسان، وتمنع الظلم، وتحرم الاستبداد.⁽¹⁴⁾

وأما الجانب الأخلاقيّ فقد كانت العرب في جاهليتها إلى يومنا هذا تعامل أسراها بالحسنى؛ دلالة على سموّ أخلاقها، وكانوا لا ينزعون عن السبايا حليهنّ، فالفارس العربيّ شهم، وشجاع، وكريم، وعزيز النفس، وعفيف، وشريف، وصادق لا يغدر، يقول عنتره:

يُخْبِرُكَ مِنْ شَهْدِ الْوَقِيْعَةِ أَنْنِي أَغْشَى الْوَعْيَ وَأَعْفُ عِنْدَ الْمَغْنَمِ⁽¹⁵⁾

وقد تعلق الشاعر العربيّ بالمرأة حتى في ساعات القتال، فقد كان الحبّ المقترن بالفروسية والعفة هو المثل الأعلى في الجاهلية.⁽¹⁶⁾ إذ يقول عنتره:

(12) - بومزار فوزية، مفهوم الفروسية في التراث العربي، مرجع سابق، ص. 27

(13) - بومزار فوزية، مفهوم الفروسية في التراث العربي، مرجع سابق، ص. 19-20

(14) - بومزار فوزية، مفهوم الفروسية في التراث العربي، مرجع سابق، ص. 45

(15) - عنتره، ديوان عنتره، مرجع سابق، ص 34

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني
وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم⁽¹⁷⁾

أما الجانب الحربي فقد كانت الفروسية لا تتأتى إلا نتيجة التدريب والمراس، والتجربة الطويلة في المعارك، فقد كان العرب يعلمون أولادهم منذ الصغر على الكرّ والفرّ، وركوب الخيل، وكان للعرب ألفاظ وشعارات معينة في المعارك، وراية ملونة كذلك⁽¹⁸⁾.

وترى الباحثة أن هذه الصفات الحميدة، وتلك الأخلاق السامية هي التي أهلت أمة العرب لحمل رسالة الإسلام السمحة إلى البشرية جمعاء، ولنا أن نتخيل لو أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بُعث إلى قوم جبناء، أو أذلاء، أو بخلاء... فكيف كان الإسلام سينتشر بهذه السرعة الفائقة شرقاً وغرباً، وينتصر على أعتى وأقوى إمبراطوريتين في التاريخ العسكري، ويدخل الناس في دين الله أفواجا لولا التمسك بهذه القيم المجيدة التي كان يتمتع بها ذلك الفارس العربي المسلم!؟!

وفيما يأتي نماذج من أشعار الفروسية لدى المتنبي والمعري، والخصائص الفنية التي تميزت بها تلك الأشعار:

1- شعر الفروسية عند المتنبي:

إنه أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي الكوفي، ولد بمحلة الكندة في الكوفة سنة 303 هـ، وقد اختلف إلى كتاب فيها أولاد الأشراف من العلويين، فكان

⁽¹⁶⁾ - بومزار فوزية، مفهوم الفروسية في التراث العربي، مرجع سابق، ص 60

⁽¹⁷⁾ - عنتر، ديوان عنتر، مرجع سابق، ص 34

⁽¹⁸⁾ - بومزار فوزية، مفهوم الفروسية في التراث العربي، مرجع سابق، ص 72

يتعلم العربية: شعرا، ولغة، وإعرابا، واشتهر منذ طفولته بحدّة الذكاء، وقوة الحافظة، وحبّه للعلم، والأدب⁽¹⁹⁾.

والملاحظ في نسب المتنبي أنه كان فقيرا، ومن قبيلة وضيفة، فقد كان والده سقاء لحفقات طلبة العلم في مساجد الكوفة، وجدّته همدانية، وقد رأى المتنبي في نفسه أنه يفوق كل باحث عن آبائه وجدوده⁽²⁰⁾، فهو يفتخر بنفسه الشامخة؛ إذ يقول صراحة:

لا بقومي شرفْتُ بل شرفوا بي وبنفسي فخرْتُ لا بجدودي

ولم يكتف بهذا الاعتداد بنفسه، بل مال أيضا إلى الفخر بعروبته التي وجدها في شخصية الفارس المغوار الأمير العربيّ الحلبيّ سيف الدولة الحمدانيّ؛ إذ يقول:

تُهابُ سيوفُ الهندِ وهي حدائدٌ..... فكيف إذا كانت نزاريةً عُرُبا

ومن مظاهر حبه لعروبته أنه كان متضايقا من تحكم العناصر العجمية في العرب⁽²¹⁾، كقوله:

وإنما الناسُ بالملوكِ وما..... تفلحُ عُرُبٌ ملوكُها عَجَمٌ

وهناك عدة عوامل أخرى كان لها بالغ الأثر في تكوين شخصية المتنبي الفارس الحكيم، فقد رحل مع أبيه- وهو في سن السادسة عشرة- إلى بادية

⁽¹⁹⁾ - البرقوقيّ، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2001م، ص1/15

⁽²⁰⁾ - الخوaja، زهدي صبري موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء المعريّ، مرجع سابق، ص34

⁽²¹⁾ - الخوaja، زهدي صبري، موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء المعريّ، مرجع سابق، ص43

السماء حيث خالط قبائل بني كلب، فقويت فصاحته، وقوته في أشعاره، وأفكاره،
وعلو همته التي تناطح السحاب، فهو القائل:

إذا غامرت في شرفٍ مرومٍ فلا تقنّع بما دونَ النجومِ

فطعمُ الموتِ في أمرٍ حقيرٍ كقطعِ الموتِ في أمرٍ عظيمٍ

وقد سعى منذ شبابه جاهدا الى الإمارة، والملك، والمجد⁽²²⁾، لعله يعيد للعرب
مجدهم الغابر، يقول في ذلك:

ومن يبغ ما أبغي من المجدِ والعُلا..... تَساوى المُحَابِي عِنْدَهُ والمقاتلُ

ومن العوامل الأخرى التي كانت لها أكبر الأثر في شعر الفروسية لدي
المتنبي تدهور الحالة السياسية في عصره، وانتشار الفوضى، وكثرة الانقسامات
المذهبية، والدينية، فقد كثرت الثورات، والأحزاب، وتفككت الدولة العباسية إلى
دويلات صغيرة، وإمارات، والاستخفاف بالدين، ما هياً ظهور فرق منحرفة، وجعل
الروم يطمعون في البلاد الإسلامية، ففي مصر الدولة الإخشيدية، وفي الشام
الدولة الحمدانية، وفي بلاد فارس الدولة البويهية⁽²³⁾.

أضف إلى ذلك فساد الحياة الاجتماعية التي نشأت عن تفكك الدولة
العباسية، وظهور الصراعات القومية، والطائفية: كالشعبية، إذ عمّت الفوضى،
واستبيحت الأعراض، وكثرت الضرائب، وشيوع الترف، وانحراف العقائد، والإلحاد،
واتخذت السراري⁽²⁴⁾.

(22) - البرقوقيّ، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ص1/16

(23) - الخواجاء، زهدي صبري، موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي

العلاء المعريّ، مرجع سابق، ص111

(24) - الخواجاء، زهدي صبري، موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي

العلاء المعريّ، مرجع سابق، ص114

ويمكن الاستنتاج أن هذه العوامل مجتمعة أدت إلى أن يرنو المتنبي ويتوق إلى إعادة أمجاد العرب والمسلمين، وبخاصة في مجال القوة والفروسية، فاستخدم قوة شعرة لتحقيق هذه الغاية؛ إذ كان يرى أن فساد المجتمع عائد إلى الحكام.

وفي أواخر الدولة العباسية تقطعت الخلافة إلى أربع دول، هي: بنو حمدان من تغلب في الموصل وحلب، والذين أنجبوا سيف الدولة الحمداني، وبنو مرداس، وابن المسيب، وبنو مريد، فذهب إلى اللاذقية ومدح التتوخيين، ثم اتصل بسيف الدولة سنة 337هـ، وقد تعلم عنده الفروسية، وذاع صيته حتى صار أكبر شعرائه ووزير إعلامه الحربي، وحضر المتنبي وقائع سيف الدولة مع الروم، وشارك فيها وأبلى بسيفه ورمحه ولسانه، وهي من أهم مراحل حياته، حتى فارقه سنة 347هـ.

ومن أهم فترات حياة المتنبي، والتي تكشف عن قوة أشعار الفروسية لديه هي اتصاله بالأمير (سيف الدولة الحمداني) الذي حارب الإخشيديين، وصمد في وجه الروم عشرين عاماً؛ يحمي نمار مملكته، وشعبه، ودينه، ولغته، فكان شوكة في حلق الروم، وسيفاً مسلطاً على رقابهم، مدافعاً عن العروبة والإسلام، وانتصر عليهم حتى وصل إلى عاصمتهم القسطنطينية، وكان بيته مقصداً للشعراء والأدباء، وبخاصة المتنبي، فقد كان سيف الدولة سمح النفس، كريم الخلق، وكان من الهين عليه أن يتخذ المتنبي صديقاً صدوقاً، فهو الشاعر المجيد الذي سيخلد بطولاته، ورأى المتنبي في سيف الدولة الأمير العربي الذي يستحق قصائده الغوالي، بل هو شاعر المجد الذي يبغى مصاحبته شاعر اللفظ والبيان⁽²⁵⁾، يقول المتنبي:

شاعرُ اللفظِ خدُّهُ شاعرُ المجدِ كلانا ربُّ المعاني الدقاقِ

(25) - البرقوقيّ، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ص 1/24

وهنا يلاحظ اعتداد المتنبي بنفسه بجانب فخره بالأمير سيف الدولة الحمداني؛ إذ كلاهما محتاج للآخر كحاجة اللفظ للمعنى للتعبير الشعري، وكلاهما يسعى إلى ذروة المجد.

ويقول أيضا:

لك الحمدُ في الدرّ الذي لي لفظه..... فإنك مُعطيهِ وإنِّي ناظِمٌ

لقد صحب المتنبي سيف الدولة الحمداني ثمانى سنوات، نظم خلالها ثمانى وثلاثين قصيدة، وإحدى وثلاثين قطعة، منها أربع عشرة في وصف وقائعه مع الروم، وكان سيف الدولة يغدق عليه أيما إغداق، ويبالغ في إكرامه، ويدنيه منه، يقول المتنبي في ذلك:

مَوْعُ الخيلِ من نذاك طفيفٌولو أنّ الجيادَ منها أَلوفٌ

وكان يصحبه في كثير من حروبه، فوصفها وصف الشاهد، ما جعلها وثيقة تاريخية يعتد بها، وكان سيف الدولة مغرماً بشعر المتنبي، تواقاً لسماع كل يوم قصيدة في مدحه، وكان المتنبي ينظم في السنة أربع قصائد، فكان الأمير يغضب عليه، وجاء في الصبح المنبى أن أبا فراس قال للأمير: "إن هذا المتشدق كثير الإدلال عليك، وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد، ويمكن أن تغدق مائتي دينار على عشرين شاعرا يأتون بما هو خير من شعره"⁽²⁶⁾.

وفي شرح ابن جني: "وكان سيف الدولة إذا تأخر عن مدحه شق عليه، وأكثر أذاه، وأحضر من لا خير فيه، وتقدم إليه بالتعرض له في مجلسه بما لا يحب، فلا يجيب أبو الطيب أحدا عن شيء، فيزيد في غيظ سيف الدولة"، وازدادت النفرة بين الصديقين، فأنشد المتنبي⁽²⁷⁾:

⁽²⁶⁾ - البرقوقيّ، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ص 1/25

⁽²⁷⁾ - البرقوقيّ، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ص 1/29

واحرّ قلباه ممّن قلبه شيمٌ..... ومن بجسمي وحالي عنده سقمٌ

فتارت حاشية الأمير، وطالبوا بدمه، فرخص الأمير بذلك، حتى كاد المتنبي يهلك، فخرج مستخفياً، وعاد إلى الأمير بعد أن راسله، وكتب له:

ألا ما لسيفِ الدولة اليومَ عاتباً.... وللنبلِ حولي من يديه حنيفٌ

فسأله الأمير عن حاله، فقال: رأيت الموت عندك أحب إلي من الحياة عند غيرك، ثم غادر الشاعر إلى كافور الإخشيدى على مضض، وفي قلبه تباريح الحب لسيف الدولة، يقول في ذلك:

أجاب دمعي وما الداعي سوى ظلّ... دعا فلّباة قبل الركبِ والإبلِ

وكان في مدحه لكافور يعرض بحبه لسيف الدولة؛ إذ يقول:

حبيتك قلبي قبل حبك من نأى..... وقد كان غداراً فكن أنت وافياً

رحل المتنبي بعد ذلك إلى كافور الإخشيدى في مصر، وبقي عنده أربع سنوات تقريباً، من سنة 346هـ إلى سنة 350هـ، وكانت بغيته أن يوليه كافور إقطاعية إلى أن خاب ظنه، فرحل إلى الكوفة رحيل هارب سنة 351هـ بعدما هجا كافورا أشد الهجاء، وكانت العراق وفارس في هذه الفترة خاضعة لبني بويه، ثم غادر إلى فارس، ونزل عند الأديب ابن العميد وزير عضد الدولة الذي أوصله إليه، ومدحه بقصيدة يحنّ فيها المتنبي إلى العربية التي افتقدها في فارس فما وجد لها أثراً، يقول في مطلعها⁽²⁸⁾:

مغاني الشّعْبِ طيباً في المغاني.... بمنزلة الربيع من الزمان

ولكنّ الفتى العربيّ فيها..... غريبُ الوجهِ واليدِ واللسانِ

(28) - البرقوقيّ، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ص 36-40/1

ومكث عنده ثلاثة أشهر، ثم عاد إلى بغداد، وفي الطريق خرج عليه فاتك الأسديّ خال ضبة بن يزيد الذي هجاه المتنبي أقذع الهجاء، فهجم عليه في ثلاثين فارساً، فقتلوه ومن معه من الغلمان والعيال سنة 354 هـ .

وكان المتنبي شاعر العربية الأكبر الذي هزّ بشعره القوي الفخم وجدان الملوك، والأمراء، والفرسان، ونال عطاياهم وجوائزهم؛ لأنه أشد ما يكون قوة، وأعظم ما يكون فحولة، وأصدق تعبيراً، وأسمى خيالاً عند نظمه لشعر الفروسية، ووصفه للحرب، فقد هاجم أعداء العرب والإسلام بسيفه ولسانه، وصور المعارك تصويراً قوياً، يرفع المعنويات الإسلامية، ويرعب قلوب الأعداء، وتغني بأنبال القيم العربية والإسلامية السامية من: الشجاعة، والبأس، والقوة، والشهامة⁽²⁹⁾.

مما سبق يمكن الاستنتاج أن الفترة الزمنية التي عاشها المتنبي في كنف الفارس العربيّ الأمير سيف الدولة الحمدانيّ، وما يتمتع به سيف الدولة من شرف الأخلاق العربية، وأهمها الفروسية بجانبها: الماديّ، والمعنويّ، كانت مصدر الإلهام، ومنبع القوة التي اتصفت بها ألفاظ المتنبي ومعانيه، وصوره الفنية الرائعة؛ إذ لم يتح للمتنبي أن شارك في معارك حربية، أو خالط فرساناً لهم مثل هذه الأخلاق العربية من: الكرم، والشجاعة، كما وجد في شخصية الأمير الفارس العربيّ سيف الدولة الحمدانيّ.

- فلسفة الفروسية والقوة عند المتنبي:

ومن أهم العوامل التي كان لها الأثر الكبير في جعل المتنبي يكثر من التغني بالفروسية، ووصف الحروب، والقتال، والقوة، وهو عامل تكوينه النفسيّ والمزاجيّ المشرب بهذه الرغبة، فقد عاش في بيئة حربية في الكوفة، وبغداد، حيث

(29) - أبو ناجي، محمود حسن عبد ربه، الحرب في شعر المتنبي، مرجع سابق، ص12

القرامطة، ويروى أنه مال إلى التشيع في بدايات حياته، ولما سكن البادية تأثر بدعوى القرامطة، وأمن بدعوتهم، كقوله:

لا تتركَن وجوه الخيلِ ساهمةً.... والحربُ أقومُ من ساقٍ على قدمٍ

بكل منصلتٍ مازال منتظري..... حتى أدلُّتُ له من دولة الخدم

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة..... ويستحلّ دمَ الحُجَّاجِ في الحرمِ

فهو يتوق إلى الحرب العظيمة التي تكون الخيل أدواتها الأساسية، فيتركها، ويعتمد على رجل شهم، يؤيد الخروج على السلطان، فهو يؤمن بأفكار القرامطة الذين لا يعرفون الرحمة، ولا يقرون بالصلاة، وقد استحلوا سفك دم الحجيج عند الكعبة أيام الحج في العصر العباسي⁽³⁰⁾.

ويرى المتنبي أن قوة الملك والسلطان مبنية على الحزم، وخوض غمار الحرب وانتزاع الحكم من الطغاة، لا ما أوتي بالوراثة، فالقوة هي السبيل لدرء المخاطر، يقول:

أعلى الممالك ما يُبنى على الأسل... والطعنُ عند محبيهنَّ كالقَبْلِ

ولا شك أن قصائده التي أبدعها في الفرسان العرب: كالسيفيات، والأمير بدر بن عمار هي قصائد قوية في جرسها، وألفاظها، فريدة بديعة في نظمها، وأسلوبها، أخاذة في معانيها وصورها؛ لأنها تعبر عن إيمان المتنبي العميق بالقوة مسلماً ومذهباً في الحياة لبناء المجد، والوصول إلى الحكم، وتثبيته⁽³¹⁾.

(30) - الخوaja، زهدي صبري، موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي

العلاء المعري، مرجع سابق، ص63

(31) - الخوaja، زهدي صبري، موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي

العلاء المعري، مرجع سابق، ص65

والخلاصة أن المتنبي مؤمن بفلسفة القوة التي تربي عليها في بادية السماوة، وشاهدها بعينه في حروب سيف الدولة مع أعدائه، فأصبحت القوة بذلك جزءا من عقيدته، وبناء شخصيته، فهو القائل:

الخيْلُ والليلُ والبيداءُ تعرفُنِي والسيفُ والرّمحُ والقرطاسُ والقلمُ

- قصائد الفروسية في ديوان المتنبي:

وقد تناولت قصائد الفروسية في ديوان المتنبي الجانبين الآتيين:

أ- الجانب الماديّ في شعر الفروسية: (وصف الخيل، وآلات الحرب، وصف المعارك).

يقول المتنبي في مدح سيف الدولة سنة 343هـ عندما التقى بني كلاب، فهزّمهم، وفيها تعداد لمناقب سيف الدولة الفارس الشجاع، وهجاء مرّ للأعداء الذين أفناهم سيف الدولة، ووصف الخيل العربية الأصيلة، والسيوف القاطعة، وجيش سيف الدولة الكثيف⁽³²⁾:

بغيرِكِ راعياً عبثَ الذئابُ..... وغيرِكِ صارِماً ثلّمَ الصِّرابُ

طلبتَهُمُ على الأمواهِ حتى..... تخوّفَ أن تفتشهُ السحابُ

فبِتَ لياليا لا نومَ فيها..... تخبّ بك المسومةُ العِرابُ⁽³³⁾

تكفكفُ عنهمُ صمّ العوالي..... وقد شرقتُ بظعنهمُ الشعابُ

وأسقطتُ الأجنّة في الولايا.... وأجهضتُ الحوائلَ والسِّقابُ⁽³⁴⁾

⁽³²⁾ - البرقوقيّ، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ص 1/144

⁽³³⁾ - الخبب أن ينقل الفرس أيامنه جميعا ومياسره جميعا والمسومة المرسله وعليها ركبائها

والعراب العربية، شرح الديوان، ص 145

ولو غيرُ الأميرِ غزا كلاباً..... ثناه عن شموِسهمُ صَبابُ
 وخيلاً تغتدي رِيحَ الموامي..... ويكفيها من الماءِ السَّرابُ⁽³⁵⁾
 ومن في كَفِّه منهم قنأة..... كمن في كَفِّه منهم خِصابُ
 كذا فليَسرِ من طلبِ الأعادي..... ومثُلُ سُرّاكِ فليكنِ الطلابُ⁽³⁶⁾

فالمُتنبي يَشيد في هذه الأبيات بمناقب سيف الدولة، وأهمها جانباً الفروسية: المادية من ركوب الخيل العربية الأصيلة، وإتقان فنون القتال بالرمح القاتلة الحادة، والسيوف اليمانية، ونبالغ المتنبي كعادته بألفاظ رنانة طنانة ليرفع معنويات الجيش المسلم، ويلقي الرعب في قلوب الأعداء الذين تيّمت أطفالهم، وأسقطت نساؤهم الأجنحة من شدة الخوف من قوة سيف الدولة وجيشه، إضافة إلى الجانب المعنوي من كرم الممدوح، وعلو همته.

ومن أشعار الفروسية لدى المتنبي قوله يمدح المغيث بن علي العجليّ بالقيم العربية المثلى: كالشجاعة، وثدة البأس، وأنه سيف قاطع في المعارك، وفارس مغوار، ويصف السيوف اليمانية التي يقتل بها الأعداء، والخيل الأصيلة التي يمتطيها، إذ يقول⁽³⁷⁾:

وسيفُ عزمٍ تردّ السيفَ هيئتهُ رطبُ الغرارِ من التأمورِ مُختضباً⁽³⁸⁾
 عمرُ العدوِّ إذا لاقاهُ في رهجٍ..... أقلّ من عمر ما يحوي إذا وهبا

(34) - السقاب: الذكور والإناث من الإبل

(35) - الموامي: مفرداً مومة وهي المفازة، يقول: وكان يلاقي خيلاً تعودت قطع الصحاري

على غير علف وماء، شرح ديوان المتنبي، ص 150

(36) - البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ص 1/151

(37) - البرقوقي، المصدر نفسه، ص 1/167

(38) - التأمور: دم القلب

وتغبطُ الأرضُ منها حيث حلّ به..... وتحسدُ الخيلُ منها أيّها ركبا
ولا يردّ بفيه كفّ سائله عن نفسه ويردّ الجحفل اللجبا
هزّ اللواءَ بنو عجل به فغدا... .. رأساً لهم وغدا كلّ لهم ذنبا
التاركين من الأشياء أهونها والراكبين من الأشياء ما صعبا
مبرقعي خيلهم بالبيض متخذي..... هام الكماة على أرماحهم عذبا
إن المنية لو لاقتهم وقفت خرقاء تتهم الإقدام والهربا
قحّ يكاد سهيل الخيل يقذفه عن سرجه مرحا بالغزو أو طربا
فالموت أعذر لي والصبر أجمل بي..... والبر أوسع لي والدنيا لمن غلبا

ففي هذه الأبيات القوية في ألفاظها، ومعانيها، وموسيقاها، يتغنى المتنبي بالفروسية عند ممدوحه من حيث الجانب الماديّ: الخيل المبرقعة، والسيوف التي يسيل لعاب الموت من حديها، واللواء الذي يهتز مجدا، وكذلك الجانب المعنويّ من غاية الكرم الذي لا يرد سائلا بفيه، بينما يرد جيشا جرارا، وحب المغامرة، وركوب الأهوال، وحب القتال، وتمني الموت.

ومنها قوله يمدح عليّ بن منصور الحاجب بالفروسية ، وحب القتال، واقتحام الصعاب، كما يصف كثافة الخيل التي اشتركت في معاركه، والسيوف التي يهزم بها أعداءه⁽³⁹⁾:

ملكٌ سنانُ قناتِهِ وبنانِهِ يتباريان دماً وُغُرفاً ساكبا
يستصغُرُ الخطرَ الكبيرَ لوفده..... ويظن دجلة ليس تكفي شاربا
كرما فلو حدثته عن نفسه بعظيم ما صنعت لظنك كاذبا

(39) - البرقوقيّ، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق ، ص1/175

سَلُّ عن شجاعته وُزْرُه مسالماً.....وحذارٍ ثم حذارٍ منه محارباً
 إن تلقه لا تلق إلا قسطلاً..... أو جحفاً أو طاعناً أو ضارباً
 أو هارباً أو طالباً أو راغباً.....أو راهباً أو هالكا أو نادباً
 وإذا نظرت إلى الجبال رأيتها.... فوق السهول عواسلاً وقواضبا
 وإذا نظرت إلى السهول رأيتها.... تحت الجبال فوارساً ونواجبا
 وعجاجة ترك الحديد سوادها..... زنجاً تبسم أو قذالاً شائبا
 أسد فرائسها الأسود يقودها..... أسد تصير له الأسود ثعالبا
 في رتبة حجب الورى عن نيلها.... وعلا فسموه عليّ الحاجبا (40)

ففي هذه الأبيات الرائعة لفظاً، ومعنى، وصورة، وتعبيراً، تتضح معالم الفروسية المادية والمعنوية تماماً عند المتنبي، فالفارس الممدوح لا يكفي عنده أن يكون ذا قوة وشدة وبأس، بل لا بدّ أن يكون كريماً، والشجاعة، وعلو همته حتى سمّي عليّ الحاجب.

وقال يمدح سيف الدولة الذي أعاقه هجوم الشتاء عن الغزو، ويشبهه بالسيف القاطع(41):

خليليّ، إني لا أرى غيرَ شاعرٍ..... فلمْ منهمُ الدعوى ومني القصائدُ؟
 فلا تعجبا، إن السيوفَ كثيرةٌ.....ولكنّ سيفَ الدولة اليوم واحدُ
 أحقهمُ بالسيف من ضربِ الطلى..... وبالأمن من هانت عليه الشدائدُ
 أخو غزوات ما تغبُّ سيوفه..... رقابهم إلا وسيحان جاحدُ

(40) - البرقوقيّ، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ص 174-182/1

(41) - البرقوقيّ، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ص 1/273

ومن شرف الإقدام أنك فيهم..... على القتل موموق كأنك شاكد⁽⁴²⁾

فأنت حسام الملك والله ضارب..... وأنت لواء الدين والله عاقد⁽⁴³⁾

ففي هذه المقطوعة الشعرية يلاحظ أن المتنبي يكثر من ألفاظ الفروسية المادية التي يتصف بها سيف الدولة الفريد من نوعه قوة وبأسا وكرما وشجاعة وإقداما، وأن الله تعالى معه.

وقال يمدح سيف الدولة في انتصاره على بني عقيل وبني عجلان، وفيه وصف للخيل الأصيلة السريعة الكثيفة، والرماح الحادة، والسيوف القاطعة، ووصف للمعركة، والقتال، وهزيمة الأعداء⁽⁴⁴⁾:

طوال قنا تطاعنها قصارٌ وقطرُك في ندىً ووعىً بحارُ

جباذٌ تعجز الأرسانُ عنها..... وفرسانٌ تضيقُ بها الديارُ

وكنت السيف قائمه إليهم..... وفي الأعداء حدك والغراز⁽⁴⁵⁾

وظل الطعن في الخيلين خلسا..... كأن الموت بينهما اختصارُ

فلزهم الطرادُ إلى قتال..... أهد سلاحهم فيه الفرازُ

مضوا متسابقي الأعضاء فيه..... لأرؤسهم وأرجلهم عثارُ

وكل أصم يعسلُ جانباة..... على الكعبين منه دمٌ مُمَارُ⁽⁴⁶⁾

إذا فاتوا الرماح تناولتم..... بأرماح من العطش القفارُ

(42) - الشاكد: المانح والمعطي

(43) - البرقوقي، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، المصدر نفسه، ص 1/276

(44) - البرقوقي، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، المصدر نفسه، ص 2/143

(45) - قائم السيف مقبضه وجراره حدّه

(46) - مमार : من مار يمور بمعنى يسيل ويهراق بتدفق

تصاهلُ خيلُهُ متجاوباتٍ..... وما من عادة الخيل السرارُ⁽⁴⁷⁾

فالمتنبي يبالح في فروسية سيف الدولة المادية والمعنوية حينما لاقى أعداءه من بني عقيل وبني عجلان فهم رغم طول قناتهم إلا أنها لا تجدي كرماح سيف الدولة القصيرة القاتلة، لأن الذي يحمله كريم كالبحر، وخيول سيف الدولة الكثيفة التي لا تطارد الأعداء وفوقها الفرسان التي لا يحصيها أحد لكثرتهم، فالخيوا تصهل، والسيوف تقطع الرقاب والدم الموار يتدفق من أجساد الأعداء، فلا سيف إلا سيف الدولة الذي وصل قائمه إلى يد الأعداء بينما حداه في رقا الأعداء الذين ولوا مدبرين.

ب- وأما الجانب المعنوي من شعر الفروسية لدى المتنبي: (وصف أخلاق الفارس العربي):

فمنه قوله يمدح سيف الدولة بالكرم والفروسية العربية الأصيلة، والشجاعة، وحب القتال⁽⁴⁸⁾:

وُقَيَّ الأميرِ هوى العيون فإنه..... ما لا يزول ببأسه وسخائه

يستأسرُ البطلَ الكميَّ بنظرة..... ويحولُ بين فؤاده وعزائه

من للسيوف بأن تكون سميتها..... في أصله وفرنده ووفائه⁽⁴⁹⁾

طبعُ الحديدِ فكان من أجناسه..... وعلِيَّ المطبوعُ من آبائه

فهو يدعو للأمير بالسلامة من الحسد من شدة شجاعته وسخائه، ويقول: من يكفل للسيوف التي شاركت سيف الدولة في التسمية بأن تكون مثله في أصله،

(47) - البرقوقيّ، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ص 2/152

(48) - البرقوقيّ، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، المصدر نفسه، ص 1/90

(49) - فرند السيف جوهره وما يرى عليه من الغبار والمراد مكارم سيف الدولة

ومناقبه، وإن السيوف مصنوعة من الحديد فهي تنزع إلى أصلها التي صنعت منه، أما سيف الدولة عليّ بن الهيجاء الشريف بن الشريف فإنه ينزع إلى أصله مجداً وكرماً.⁽⁵⁰⁾

وقال المتنبي يهنئ سيف الدولة بعيد الأضحى عام 342هـ في حلب، ويمدحه بصفات الفارس العربيّ: كالشجاعة، والكرم، وحب القتال، والحكمة، وكلها صفات تمثل أخلاق الفارس العربيّ⁽⁵¹⁾:

لكل امرئ من دهره ما تعودا..... وعادة سيف الدولة الضرب في العدا
ومستكبر لم يعرف الله ساعة..... رأى سيفه في كفه فتشهدا
هو البحر غُص فيه إذا كان ساكنا..... على الدرّ واحذره إذا كان مزبدا
وتحيي له المال الصوارم والقنا..... ويقتل ما يحيي التبسم والجدا
ووصول إلى المستصعبات بخيله..... فلو كان قرن الشمس ماءً لأوردا
فيا عجباً من دائلٍ أنت سيفه..... أما يتوقى شفرتي ما تقلدا
ولكن تفوق الناس رأياً وحكمة..... كما فقتهم حالاً ونفساً ومحتدا⁽⁵²⁾

ففي هذه المقطوعة الشعرية الرائع التي افتتحها المتنبي بالحكمة مستخدماً التلميح والإيحاء للإشادة بأن سيف الدولة معتاد على ضرب وقتل أعدائه، ومن شدة بأسه أن الكافر المستكبر يدخل الإسلام إذا شاهد السيف في يد سيف الدولة، ومع هذا فهو كريم، كثير العطاء، عالي الهمة، يحب المغامرة، فهو قد جمع المجد من جميع جوانبه حكمة وبصيرة، وشخصية، وشهامة، وطيب نسب.

⁽⁵⁰⁾ - البرقوقيّ، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، مصدر سابق، ص 1/93

⁽⁵¹⁾ - البرقوقيّ، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، المصدر نفسه، ص 2/3

⁽⁵²⁾ - البرقوقيّ، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، المصدر نفسه، ص 2/9

- الخصائص الفنية لشعر الفروسية في ديوان المتنبي:

ومن خلال الأبيات السابقة في شعر الفروسية لدى المتنبي يمكن استنتاج أهم السمات الفنية التي طبعت شعره، وهي كالآتي:

1- **القوة:** وهي أكثر ما يميز أسلوبه النفي، فقد تمثلت في شعر الفروسية قوة البداوة، وعزتها بشكل واضح، وقد أجاد فيه أيما إجادة، من حيث جزالة اللفظ، وفخامة العبارة، وحصانة الأسلوب، وأكثر ألفاظه منتقاة، وامتألت قصائده بالأداء الممتع، والخيال الرائع، والمثل الشائع، ولهذا قلما نجد قصيدة له تخلو من أبيات تختار، ومعانٍ تستفاد، وألفاظ تروق وتعذب، وإبداع يدل على الفطنة والذكاء كما صرح بذلك الأمدّي⁽⁵³⁾.

2- **دقة التصوير:** والمتنبي ماهر في رسم الصور الفنية في ذهن المتلقي، وصوره الشعرية تتزاحم لتكوّن مشهداً قوياً صاخباً، فهو قد رأى الممدوح أسداً، كريماً، وسيفاً قاطعاً، وفارساً لا يبارى، قال يمدح شجاع المنبجي الذي يشبهه بالأسد:

إلى القابض الأرواح والضيغم الذي..... تحدّث عن وقفاته الخيل والرّجل

وفي الشجاعة يمدح أمير حمص الذي يشبهه بالسيف القويّ الحادّ الشفرتين⁽⁵⁴⁾:

فخاض بالسيف بحرّ الموت خلفهم..... وكان منه إلى الكعبين تشهدُ

⁽⁵³⁾ - الأمدّي، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991، ص 54

⁽⁵⁴⁾ - سلطان، منير، الصورة الفنية في شعر المتنبي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2002،

3- حسن المطلع، وبخاصة مطالع الحكمة التي ينتقل منها إلى غرض

الفروسية، كقوله مادحا سيف الدولة:

لكل امرئ من دهره ما تعودا..... وعادة سيف الدولة الضرب في العدا

وقوله في وصف معركة قلعة الحدث الحمراء:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم..... وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها..... وتصغر في عين العظيم العظائم

4- حسن التقسيم: في البيت الواحد، وهي من المحسنات البديعية التي تدلّ

على قدرة الشاعر اللغوية؛ إذ يقول المتنبي مادحا سيف الدولة:

فنحن في جذلٍ والروم في وجلٍ... والبر في شغلٍ والبحر في خجلٍ

5- حسن استخدام التعليقات البلاغية : لقد وجد المتنبي في سيف الدولة

الفارس العربي الذي يلبي طموحه، فهو قائد شجاع، وله جيش كبير، فأقبل عليه

يمدحه مشيدا بجانب الفروسية المادي والمعنوي، كقوله⁽⁵⁵⁾:

قد زرتَه وسيوف الهند مغمدة وقد نظرت إليه والسيوف دم

فكان أحسن خلق الله كلهم وكان أحسن ما في الأحسن الشيم

فأراد أن يمدحه بالكرم وقت السلم، وبالشجاعة وقت الحرب، وهي من

صفات الفارس العربي فاستعمل الكناية في قوله: (سيوف الهند مغمدة)،

وأیضا (والسيوف دم)، وجاءت بأسلوب التشبيه البليغ؛ ليؤكد اشتداد المعركة.⁽⁵⁶⁾

⁽⁵⁵⁾ - الخطاب، عبد الهادي خضير، المتنبي في المعيار النقدي، ط1، دار صفاء، عمان،

2010م، ص13-16

⁽⁵⁶⁾ الخطاب، عبد الهادي خضير، المتنبي في المعيار النقدي، مرجع سابق، ص24

6- تميّز شعره الحربيّ القويّ المدوّي من خلال لوحات خالصة الفنّ، فقد آثر هذا الاتجاه، وتقنن فيه؛ لأنه يشبع شجاعته، وطموحه، ففي طبعه الحماسة، وفي سجيته الطرب للحرب، فترى شعره يتدفق قوة عند الحديث عن المعارك، والقتال، ويأتي بالمواعظ العسكرية الصائبة، فليس المهم في نظره كثرة العدة الحربية، وإنما حسن إدارتها، والنصر على الأعداء، إذ يقول:

وما تنفع الخيلُ الكرامُ ولا القنا.... إذا لم يكن فوقَ الكرامِ كرامُ

إن شعره الحربيّ يثير الإعجاب من ناحية المعاني المطروقة، والأسلوب الذي يمتاز بقوة السبك، ومتانة اللفظ، والتعابير المتناسقة، وصدق العاطفة، والمعاني الدقيقة، والروح القتالية الثائرة، والحكمة الحربية الصائبة، والحث على الشجاعة، والنظرة الثاقبة في القتال⁽⁵⁷⁾.

7- التضمين: فهو أحيانا يضمن شعره معاني غيره، كقوله:

أعلى الممالك ما يبني على الأسل... والطعن عند محبيه كالقُبَل

فهو يشبه طعن الأعداء في لذته بتقبيل المحبوبة، وهذا المعنى ورد عند غيره من الشعراء.

8- المبالغة المفرطة: وهي سمة غالبية عند شعراء العربية منذ الجاهلية؛ إذ

إن أعذب الشعر أكذبه، والهدف هو قوة التأثير في ذهن المتلقي؛ إذ يقول:

وضاقت الأرض حتى كان هاربهم..... إذا رأى غير شيء ظنه رجلا

فبعده وإلى اليوم لو ركضت..... بالخيل في لهوات الطفل ما سعلا

(57) - الخواجا، زهدي، موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء

المعري، مرجع سابق، ص188-189

فهو يقول: لشدة ما لحق بالأعداء من الخوف والهزيمة ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فلم يجدوا مهرباً، فلهارب منهم إذا رأى ما ليس بشيء توهمه إنسانا يطلبه، وهذا تحليل نفسيّ دقيق لحالة الخائف، وأنه منذ أن بادت تميم حتى اليوم لو ركضت خيلهم في لهوات صبي لما شعر بهم حتى يسعل؛ لقلتهم، وذلّتهم⁽⁵⁸⁾.

9- استخدامه المحسنات البديعية، وبخاصة الطباق، والمقابلة، كقوله:

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغرُ في عين العظيم العظائمُ

ضممت جناحيهم على القلب ضمة تموت الخوافي تحتها والقوادمُ

10- الفخر بالنفس، وحب الذات حتى درجة التعالي والغرور، كقوله:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي... وأسمعت كلماتي من به صمّمُ

أنام ملء جفوني عن شواردها... ويسهر الخلق جراها ويختصمُ

11- بداوة الأسلوب: فنزعته العربية واضحة، وروح الفروسية بادية تماماً في

أشعاره كذلك، لا يكاد يخلو منها موضوع أو غرض، فقد تأثر أسلوبه بنمط معيشتة في البادية، فمفرداته خشنة، والألفاظ موحشة.

12- تقليد الشعراء السابقين، أو التناصّ معهم، وبخاصة الجاهليين⁽⁵⁹⁾،

ففي قول المتنبي:

وللنفس أخلاق تدلّ على الفتى.... أكان سخاء ما أتى أم تساخيا

فهذا يشبه قول زهير بن أبي سلمى:

⁽⁵⁸⁾ - الخوaja، زهدي صبري، موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء المعريّ، مرجع سابق، ص192

⁽⁵⁹⁾ - الدهون، إبراهيم مصطفى، التناصّ في شعر أبي العلاء المعريّ، ط1، عالم الكتب

الحديث، إربد، 2011، ص37

ومهما تكن عند امرئ من خليفة... وإن خالها تخفى على الناس تعلم
وقول المتنبي:

ذلّ من يغبط الذليل بعيشٍ رُبّ عيشٍ أخفّ منه الحمأُ
مأخوذ من قول بشار:

وللموتُ خيرٌ من حياةٍ على أذى.... يضيئك فيها صاحب وتراقبه

2- شعر الفروسية عند أبي العلاء المعري:

إنه أبو العلاء، أحمد بن عبد الله بن سليمان التتوخي، من معرة النعمان⁽⁶⁰⁾، وتتنوخ تعني الإقامة،⁽⁶¹⁾ وقبيلة تنوخ من أكثر العرب حسبا، وأدبا، وفيهم الخطباء، والبلغاء والشعراء، وبنو الساطع-أجداد الشاعر المعري- مشهورون بالرياسة، والشجاعة، والجدود⁽⁶²⁾.

وكنيته أبو العلاء، كناه أبوه بها منذ صغره، لكنه لم يكن راضيا بذلك، فقال:

وَأَحْمَدُ سَمَانِي كَبِيرِي وَقَلَّمَا فَعَلْتُ سِوَى مَا أَسْتَحِقُّ بِهِ الدَّمَا⁶³

⁽⁶⁰⁾ - السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، (ت:562هـ)، الأنساب، تحقيق: عبدالله البارودي، دار الجنان، ط1، 1382 هـ - 1962 م، ص91.92.

⁽⁶¹⁾ - ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت:681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1998، (1/116).

⁽⁶²⁾ - السقا، مصطفى، تعريف القدماء بأبي العلاء، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1986م، ص489.

⁽⁶³⁾ - الأشر، صالح. أبو العلاء المعري. بيروت: دار الشرق العربي، 1973، ص8.

ولقب بالمعري نسبة إلى مدينة معرة النعمان، وقد ولد يوم الجمعة لثلاثة أيام مضت من ربيع الأول سنة 363هـ.⁽⁶⁴⁾ وتوفي ليلة الجمعة الثالث من ربيع الأول عام 449هـ، عن ستّ وثمانين سنة⁽⁶⁵⁾، ولم يتزوج أبو العلاء تبعاً لعقيدته وفلسفته التشاؤمية، وعاش زاهداً لا يأكل الحيوان، ولا منتجاته، من لبن، أو بيض، قانعاً بالعدس، والتين، وأوصى أن يكتب على قبره قوله:

هذا ما جناه أبي علاء وما جنيتُ على أحد⁽⁶⁶⁾

أصيب أبو العلاء بالجدي، فعمي وعمره أربع سنوات، يقول: «وقد علم الله أن سمعي ثقيل، وبصري عن الابصار ثقيل، قضي عليّ وأنا ابن أربع، لا أفرق بين البازل والربيع: أي الفصيل والبعير»⁽⁶⁷⁾، وَكَانَ يَقُولُ لَا أَعْرِفُ مِنَ الْأَلْوَانِ إِلَّا الْأَحْمَرَ؛ لِأَنِّي أَلْبَسْتُ فِي الْجَدِيِّ ثَوْبًا مَصْبُوغًا بِالْعَصْفَرِ، لَا أَعْقِلُ غَيْرَ ذَلِكَ.⁽⁶⁸⁾

(64) – الجندي، محمد سليم، الجامع في أخبار أبي العلاء وأثاره، تحقيق: عبد الهادي هاشم، دار صادر، 1992م، (65/1).

(65) – الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، نزهة الفضلاء، إعداد الدكتور محمد موسى الشريف، مؤسسة أم القرى، مصر، ط2، 2012م، ص892.

(66) – أبو مصلح، كمال، أبو العلاء المعري: حياته، وشعره. بيروت، المكتبة الحديثة، 1986، ص16.

(67) – الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت:626هـ)، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1414 هـ – 1993 م، 217/3.

(68) – السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 2001م، ص136.

فهو آخر لون رأيته منذ سن الرابعة عندما جدت⁽⁶⁹⁾. وقد لازم المعري داره خمسين عاما في عزلة من الناس، لا يلقى إلا طلبه العلم، والزوار، وكان ينفق على طلابه: كالخطيب التبريزي طوال فترة قراءته عليه⁽⁷⁰⁾. وقد سمّي بذلك: رهين المحبسين، وأضاف لها في شعره محبسا ثالثاً هو جسده المليء بالشهوات، إذ يقول:

أراني في الثلاثة من سُجوني فَلا تَسأل عَنِ الخَبَرِ النَّبِيثِ

لِفَقْدِي ناظِرِي، وَلُزومِ بـيـتِي وَكَوْنِ النَفْسِ فِي الجَسَدِ الخَبِيثِ⁽⁷¹⁾

وعاش في معرة النعمان في ظل الدولة العباسية، حيث استولى البويهيون عام (344هـ) على بغداد، وكان سيف الدولة الحمداني يخطب في حلب باسم الخليفة العباسي، وسيطر أبناؤه فيها على حلب، حتى استولى صالح بن مرداس سنة 414هـ عليها، وخلف ولده: نصر، وشمال العرش من صالح، وعاش أبو العلاء في عهدهما إلى وفاته⁽⁷²⁾.

ونشأ المعري في بيت علم، وأدب، ورياسة، فوالده عبد الله بن سليمان كان شاعراً⁽⁷³⁾. وكان متضلعا في الأدب، واللغة، والنحو، وكان علامة دهره، غاية في

(69) - الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: 748هـ)، تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003م، (ج9/721).

(70) - الأشر، أبو العلاء المعري، مرجع سابق، 113.

(71) - كمال أبو مصلح، أبو العلاء المعري، مرجع سابق، ص64.

(72) - إلياس، سعد غالي، بحوث علانية، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997، ص3.

(73) - الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (-764هـ)، نكت الهميان في نكت العميان، تعليق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1428هـ - 2007م، ص85.

الذكاء، وما يروى عنه من قصص في ذلك لا أصل لها⁽⁷⁴⁾، ويبدو من اللزوميات أن أبا العلاء أنه درس العلوم الشرعية الإسلامية، ودرس المسيحية، واليهودية أثناء تطوافه بالشام.⁽⁷⁵⁾ ويقول البغدادي: «إنه كان عالماً باللغة، حافظاً لها»⁽⁷⁶⁾.

أخذ المعريّ الأدب عن أبيه وأخيه محمد بن عبد الله⁽⁷⁷⁾. وسمع من أبي الفتح محمد بن الحسين⁽⁷⁸⁾، وسمع في بغداد من عبد السلام بن الحسن البصري⁽⁷⁹⁾. وقرأ القرآن على جماعة من الشيوخ، وقرأ النحو على ابن مسعود النحويّ راوية المتنبي في حلب، وسافر إلى بغداد سنة 399هـ، فأخذ اللغة عن أبي عليّ الربيعي، كما أخذ الحديث عن أبيه، وجده⁽⁸⁰⁾.

(74) – العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد (ت: 855هـ)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: مجموعة محققين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1431هـ/2010م، (87/1)؛ وتعريف القدماء، ص325.
(75) – ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي. مصر، دار المعارف، ب.ت، ص337.

(76) – الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت: 463هـ) تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1422هـ – 2002م، (240/4).

(77) – الياضي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد (ت: 768هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ – 1997م، (52/3).

(78) – ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت: 852هـ)، لسان الميزان، الطبعة: الثانية، تحقيق: دائرة المعارف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت، 1390هـ/1971م، (204/1).

(79) – السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ)، بغية الوعاة، مصدر سابق، 2001م، (124/2)؛ وانظر: السقا، تعريف القدماء، ص316.

(80) – المعري، شرح سقط الزند، ط2، شرحه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص12.

يقول المعري: عندما فرغت من تصنيف كتاب (اللامع في شرح شعر المتنبي) كأنما نظر المتنبي إليّ بلحظ الغيب⁽⁸¹⁾؛ إذ يقول المتنبي⁽⁸²⁾:

أنا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ

وأما ديوانه سقط الزند فإن: الزند (بفتح الزاي، وسكون النون) هو: العود الأعلى الذي يقتدح به النار، والسقط (بفتح السين، وكسرهما، وضمها): هو ما يقع من النار حين يقدح⁽⁸³⁾، وسمي بسقط الزند لأن السقط أول النار التي تخرج من الزند، وبهذا شبه أبو العلاء شعره الأول في فترة شبابه قبل ذهابه إلى بغداد بما يسقط من الزند.⁽⁸⁴⁾

والخلاصة أن ديوان (سقط الزند) يمثل مرحلتين شعريتين مرّ بهما المعري: الأولى مقلداً للمتنبي وأبي تمام في مرحلة شبابه قبل رحلته إلى بغداد، والثانية مرحلة النضج الفني بعد عودته من بغداد وانعزاله في المعرة خمسين عاماً. ويعدّ ديوان (سقط الزند) قاموساً لغوياً لما حواه من ألفاظ جزلة، وغريبة، وتشيع في قصائد ديوان (سقط الزند) نزعة التشاؤم؛ نظراً لفقده بصره، فالمعري-

(81) - ابن خلكان، وفيات الاعيان، مصدر سابق، (116/1).

(82) - المتنبي، أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، تحقيق عبد الوهاب عزام، القاهرة، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1944، ص 323.

(83) - مادة سقط، وزند. انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3 - 1414 هـ، (195/3).

(84) - انظر: مقدمة التبريزي، والبطلينوس، والخوازمي، (502هـ)، شروح سقط الزند، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، إشراف طه حسين، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م، (3/ 1).

إذاً- شاعر لغويّ، كان ظاهرة نادرة في تاريخ الشعر العربيّ، ليس سهلاً على الباحث اقتحام عوالمه الواسعة⁽⁸⁵⁾.

2- قصائد الفروسية في ديوان (سقط الزند) لأبي العلاء المعريّ:

لقد تناولت قصائد الفروسية في ديوان (سقط الزند) للمعريّ الجانبين الآتيين:

أ- الجانب الماديّ في شعر الفروسية: (وصف الخيل، وآلات الحرب، وصف المعارك).

ورد في درعيات المعريّ لفظ: الجياد، وجواد، وحصان، وخيل، وداحس، وسابح، ومصعلكة، والربيع، ومذهب، ومياس، وكلها أسماء وصفات للخيل، يقول المعريّ مادحا:

كأن جيادهم أسرابٌ وحش..... أصرّعن من فرد وأثن⁽⁸⁶⁾

ويلاحظ تصوير المعريّ لخيّل الممدوح وكثافة أعدادها كأنها حيوانات برية كثيفة، وهي تفتك بأعدادها فرادى وأزواجاً؛ أي لم تبق منهم أحدا.

ويقول المعريّ مادحا، وواصفا السيف الحادّ الذي يتقلده الممدوح كأنه أسد ضرغام:

وربّ جُراز يُتقى وهو مغمّدٌ....ولجّ تهال النفسُ دون اقتحامه

فئثني عليه ضيغم بزئيره.....ويئثني عليه شادنٌ ببغامه

(85) - زاهد، زهير غازي، لغة الشعر عند المعريّ: دراسة لغوية فنية في سقط الزند، بغداد:

دار الشؤون الثقافية، 1989، ص 9

(86) - عمار، شلواي، درعيات شاعر الليل، ط1، عالم الكتب، إربد، 2010، ص 260

والسيف الجراز: الصارم القاطع، والشادن: ولد الظبية، وبغامه: صوت الشادن، فالممدوح مشهور لدى الإنس والحيوان بالفروسية المادية والمعنوية: الكرم، والبأس⁽⁸⁷⁾.

ويقول المعريّ مفتخراً بالصفات المادية للفارس العربيّ، واصفاً الخيل والسيوف:

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل..... عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلٌ

يقول: جمعت العفة، والشجاعة، والحزم، والجود، وسلوك هذه الطريقة هو المجد، والنائل: العطاء⁽⁸⁸⁾. ثم يقول المعريّ مفتخراً بشعره، وفروسيته، فهو يغدو ويسري للقتال:

وإني وإن كنت الأخيرَ زمانه..... لآتٍ بما لم تستطعهُ الأوائِلُ

وأغدو ولو أن الصباح صوارم.... وأسري ولو أن الظلام جحافلُ

فقد شبه الصباح بالسيف لشدة بياضه، والجحافل: مفردها جحفل، وهو الجيش العظيم، فقد شبه الليل في كثافته بالجيش العظيم، يقول البطليوسي: لا يثنييني شيء عن مطلب أرومه وأحاوله، ولا يملأ قلبي الخوف من عدو، ولو أن الصباح سيوف تسلّ عليّ، أو الليل جيوش توجّه إليّ⁽⁸⁹⁾.

ويقول المعريّ مفتخراً بحصانه العربيّ الأصيل السريع الأشقر:

وقد أغتدي والليلُ يبكي تأسفا..... على نفسه والنجمُ في الغرب مائلُ

⁽⁸⁷⁾ - التبريزي، والبطليوسي، والخورزمي، شروح سقط الزند، الدار القومية للطباعة والنشر،

القاهرة، 1946م، ص 2/517

⁽⁸⁸⁾ - التبريزي، والبطليوسي، والخورزمي، شروح سقط الزند، مصدر سابق، ص 2/519

⁽⁸⁹⁾ - التبريزي، والبطليوسي، والخورزمي، شروح سقط الزند، المصدر نفسه، ص 2/525

بريحٍ أعيّرت حافرا من زبرجدٍ لها التبرُّ جسمٌ واللجينُ خلاخلُ
والزبرجد: حافر الفرس الأخضر، والفرس محجل أشقر كأنه من الذهب،
وخلاخله من الفضة⁽⁹⁰⁾.

ويقول المعريّ إنه يكرم فرسه أكثر من عياله على عادة العرب:
ويغبقُ أهله لبناً الصفايا..... ويمنحُ قوتَ مهجته الجوادا
والغبوق: شرب اللبن مساءً، والصفايا: جمع صفية من النوق، وهي غزيرة
اللبن؛ أي يؤثر فرسه على نفسه في القوت⁽⁹¹⁾.
ويقول المعريّ واصفا إحدى المعارك مع الروم، متغنيا بالسيوف العربية،
والخيول المضمرة:

لقد آن أن يثني الجموح لجام.... وأن يملك الصعب الأبّي ذمامُ
أيوعدنا بالروم ناسٌ وإنما..... هم النبتُ والبيضُ الرقاقُ سوامُ
كأن لم يكن بين المخاض وحارمٍ.... كتائبُ يشجين الفلا وخيامُ⁽⁹²⁾
ثم يردف هاجيا جيش الروم المهزوم أمام الجيش الإسلامي في معركة حارم
بطلب:

فأضحوا حديثاً كالمنام وما انقضى..... فسيانَ منهم يقظةً ومنامُ

⁽⁹⁰⁾ - التبريزي، والبطلبيوسي، والخوارزمي، شروح سقط الزند، المصدر نفسه، ص 2/539

⁽⁹¹⁾ - التبريزي، والبطلبيوسي، والخوارزمي، شروح سقط الزند، المصدر نفسه، ص 2/593

⁽⁹²⁾ - قال التبريزي: جمح الفرس؛ أي غالب فارسه على رأسه، والإيعاد: التهديد، والسوام: المال السارح في المرعى، والمخاض: نهر بالقرب من معرة النعمان، وحارم: مدينة قريبة من أنطاكية كانت بها وقعة انتصر فيها المسلمون على الروم.

وسيان: أي مثلان، يقول البطليوسي: أمرهم يشبه حال النوم لعدمهم بعد وجودهم، ويشبه حال اليقظة لما بقي من ذكرهم بعدهم.

ويقول المعري مادحاً، ووصفاً السيوف والخيول في جو المعركة:

تظّل المنايا في سيوفك شرعاً..... إذا النقع من تحت السناك ثارا
فإن عدّ ضحضاح الحِمَام صوارم... عددنّ بحورا للردى وغمارا⁽⁹³⁾
يغولُ سباع الطير ضنكُ قتامها..... فيسقط موتى أعقبا ونسارا

يقول: إذا صعد غبار هذه الخيول إلى جو السماء فإنه يأخذ أنفاس العقبان والنسور حتى تهلك من كثافته، والقَتام: الغبار الكثيف، ويغول: يهلك، والأعقب والنسار: بدل من سباع الطير، وهذا تناصّ مع قول المتنبي:

عجاجة تعثر العقبان فيه..... كأن الجو وعث أو خَبَارُ⁽⁹⁴⁾

ويقول المعري مادحاً كأن الممدوح مهر سريع بين خيول ذكية:

لله درك من مهر جرى وجرت.... عتق المذاكي فخابت صفقة العتق⁽⁹⁵⁾
أمامك الخيل مسحوبا أجلتها.... من فاخر الوشي أو من ناعم السرقي⁽⁹⁶⁾
تسمو بما قلدته من أعنتها..... منيفة كصوادي يثرب السحق

(93) - والمراد: أنه كلما ارتفع غبار المعركة شرعت المنايا في سيوفك لإهلاك من تحاربه، وقد شبه السيوف بالضحضاح وهو الماء الرقيق على وجه الأرض، ولكن سيوفك تشبه البحار، والغمار كثرة الماء، والردى الموت، وهذه مبالغة ومقارنة جميلة. التبريزي، وآخرون، شروح سقط الزند، مصدر سابق، ص 2/635

(94) - التبريزي، والبطليوسي، والخوارزمي، شروح سقط الزند، مصدر سابق، ص 2/645

(95) - المذاكي: جمع مذك، وهو الذي بلغ ذكاهه وقوة سنه من الخيل.

(96) - والسرق: الحرير، وهي فارسية معربة

يقول التبريزي: الصوادي من النخل: الطوال، والسحق: النخلة الطويلة مع انجراد⁽⁹⁷⁾.

وخلة الضرب لا تبقى له خلاا..... وحلة الحرب ذات السرد والحلق

يقول التبريزي: خلة الضرب: السيف له خلة كالصديق، وقد يسمّى الغمد خلاا؛ أي أمامك السيف مضروباً به حتى لا يبقى هو ولا غمده، وأمامك الدرع المسرودة وخلة الضرب وحلة الحرب يسمى ترصيعاً⁽⁹⁸⁾.

وقال المعريّ يهنئ بعض الامراء بعرض معرضاً بأدوات الحرب، مقبلاً الرمح:

مقبّل الرمح حباً للطعان به كأنما هو مجموع من اللعس

واللعس: سمرة في الشفتين، والمراد أن هذا الأمير يقبل رمحه من حبه للطعن، فكأنه مجموع من لعس الشفتين، واللعس مرغوب في تقيله، وهذا المعنى موجود عند عنتره والمتنبي⁽⁹⁹⁾.

وأثبتّ الناس قلباً في ظلام سرى..... ولا ربيئة إلا مسمعُ الفرس⁽¹⁰⁰⁾

يا فارس الخيل يدعوك العدى أسدا.... ما استتقدت من يديه عنق مفترس، والمفترس: مفتعل من الفرس، وهو دقّ العنق، ومنه الفريسة، والفارس مع المفترس تجنيس وإيهام⁽¹⁰¹⁾. ثم يقول:

سالت تَضَوِّع حتى ظن جارحهم..... قسيمة المسك جرح الفارس الندس

(97) - التبريزي، والبطلبوسيّ، والخوارزمي، شروح سقط الزند، مصدر سابق، ص 2/685

(98) - التبريزي، والبطلبوسيّ، والخوارزمي، شروح سقط الزند، المصدر نفسه، ص 2/686

(99) - التبريزي، والبطلبوسيّ، والخوارزمي، شروح سقط الزند، المصدر نفسه، ص 2/692

(100) - والربيئة: الطليعة، والفرس موصوف بحدة السمع

(101) - التبريزي، والبطلبوسيّ، والخوارزمي، شروح سقط الزند، المصدر نفسه، ص 2/697

والندس: الحاذق في الطعان، وتضوّع: تفوح، والقسيمة: وعاء المسك. ثم يقول المعري:

الطارحين لخوض الموت لأمهم سحب الأجلة خلف الضمير الشمس

يقول: إنهم يطرحون الدروع لتخف الأتقال، فيكونون إلى الحرب، أسرع كما تسحب الخيل المضمرة النافرة أجلتها خلفها⁽¹⁰²⁾. ويقول مادحا أبا القاسم بن جلابات بالشجاعة والفروسية:

وأنت السيف إن تعدم حلياً فلم يُعدم فرندك والغرار

والفرند: جوهر السيف، والغرار: حد السيف، يقول: لا يشينك تعطلك عن خدمة الكبراء وقد زانك تحليك بالشهامة والذكاء. ويقول المعري مادحا بالفروسية، وركوب الخيل:

من ارتعت خيله الرياض بها وكان حوض الصفاء موردها

ففي نبات الرعوس تسرحها أنت وماء الجسم توردها

يقول التبريزي: أي أن من كانت خيله ترعى نبات الأرض وتشرب ماءها فإن خيلك تسرح في نبات الرعوس، وتوردها ماء الجسم أي الدماء⁽¹⁰³⁾. ثم يقول المعري:

أعينها لم تزل حوافرها تكحلها والغبار إثمدها

يقول البطلبيوسي: لكثرة ما ألفت الحرب لا يؤلم الغبار أعينها، بل هو كالكحل⁽¹⁰⁴⁾.

(102) - التبريزي، والبطلبيوسي، والخوارزمي، شروح سقط الزند، مصدر سابق، ص 2/709

(103) - التبريزي، والبطلبيوسي، والخوارزمي، شروح سقط الزند، مصدر سابق، ص 2/823

(104) - التبريزي، والبطلبيوسي، والخوارزمي، شروح سقط الزند، المصدر نفسه، ص 2/827

ب- الجانب المعنوي في شعر الفروسية في ديوان سقط الزند: (وصف أخلاق الفارس العربي).

ويتغنى المعريّ مفتخراً بأخلاق الفارس العربيّ الذي يحب القتال، ولا يخشى الموت:

فلا قولٌ إلا الضربُ والطعنُ عندنا.... ولا رسلٌ إلا ذابكٌ وحسامٌ

فإن عدتَ فالمجروحُ توسى جراحه... وإن لم تعد متنا ونحن كرامٌ

فلسنا وإن كان البقاء محبباً..... بأول من أحنى عليه حمامٌ

يقول: ما لهم عندنا بعد الرسل إلا قتالهم، وأحنى عليهم الدهر: أي اهلكهم، والحمام الموت، فهو يقولون: أبيننا أن نعطيك أبيننا، فإن رجعت عنا أصلحنا جروحنا وداوينا، وإن كان لك على الحرب دوام قتلنا ونحن كرام، والنخوة: الكبر، والعرام: الشرّة وانتقاد النفس الأبية⁽¹⁰⁵⁾.

وقال يمدح عليّ بن الحسين بن الجلبات بالفروسية، والكرم، والشجاعة، والعفة:

يرومك والجوزاء دون مرامه..... عدوٌ يعيبُ البدرَ عند تمامه

يقول التبريزي: إن عدوك مع ما فيه من العناد قد سلّم لك الكمال، كما الأعمى الذي يعيب البدر المضيء الساطع عند اكتماله⁽¹⁰⁶⁾. ثم يقول المعري:

⁽¹⁰⁵⁾ - التبريزي، والبطلبيوسي، والخوازمي، شروح سقط الزند، المصدر نفسه، ص 2/608

⁽¹⁰⁶⁾ - التبريزي، والبطلبيوسي، والخوازمي، شروح سقط الزند، المصدر نفسه، ص 2/473

حللت من العلياء صهوة باذخٍ...تودّ الضواري أنها من بهامه

فالممدوح بلغ من المجد أعلاه كصهوة الجواد، فقد تمننت السباع أن تكون

بهائم عنده، ثم يقول:

وهل يذخرُ الضرعاًم قوتاً ليومه.... إذا ادّخر النمل الطعام ليومه

ولما كان الممدوح لا يمك ما لا لكثرة الهبات فقد أشبه الأسد الذي لا يدّخر

الطعام.⁽¹⁰⁷⁾ ويقول:

بنو الجلبات الباعثون من الندى.... سراياه، والغازون وسط لهامه

والسرايا: جمع سرية من الخيل، واللهام: الجيش العظيم كأنه يلتهم الأرض من

كثرته. ثم يقول:

وما كان يغني القرن عن حمل سيفه إذا الحربُ شبت كثرةً من سهامه

والمراد: أن كثرة السهام لا تغني الفارس عن حمل السيف في الحرب. ثم

يقول المعري:

فأنضى عليّ خيله وركابه ولم يأت إلا فوق ظهر اعترامه

وأنضى: أضعف وأهزل لطول السفر وإمضاء عزمته، كما قال المتنبي:

سلكت صروف الدهر حتى لقيته على ظهر عزم مؤيدات قوائمه

ثم قال المعري:

تهابُ الأعادي بأسه وهو ساكن كما هيب مسُ الجمر قبل اضطرامه

(107) - التبريزي، والبطلبيوسي، والخوازمي، شروح سقط الزند، مصدر سابق، ص 2/482

فهو قويّ ذو بأس شديد. ويقول المعريّ مادحاً كرم البدو في الصحراء
وشجاعتهم وفروسيّتهم :

تذكرت البداوة في أناس تخال ربيعهم سنة جمادا

يقول الخوارزمي: سنة جماد: أي لا مطر فيها، فهم أهل بادية ممحلة، ربيعها
شتاء، وخصبها جدوبة. ثم يقول:

يصيدون الفوارس كل يوم كما يتصيد الأسدُ النقادا⁽¹⁰⁸⁾

ويقول المعريّ:

إذا نزل الضيوف ولم يريحوا.... كرامَ سوامهم عقروا الجيادا

وأطولهم إذا ركبوا قناة..... وأرفعهم إذا نزلوا عمادا

قال البطليوسيّ: العرب تمدح بطول الرمح وتذمّ، فإذا مدحوا بذلك أرادوا شدة
الأسر والحدق بالطعن، وقال المعريّ:

طموح السيف لا يخشى إلها ولا يرجو القيامة والمعادا

يقول: سيفه يطمح؛ أي يقتل من لا يجب قتله، والطمح: تجاوز الحدّ. يقول
التبريزيّ: لا يغتر الجاهلون بحلم هذا الممدوح وتقواه؛ فإن سيفه لا يتقي الله، ولا
يخشاه، وهذا المعنى كثير في المحدث والقديم، إلا أن المعري استعمله بلفظ شديد
البشاعة، ظاهر الشناعة، ينكره من يراه، ويتأوله على غير معناه، بألفاظ تمجها
الطباع⁽¹⁰⁹⁾، والأحسن منه قول المتنبي:

ولا عفة في سيفه وسنانه..... ولكنها في الكف، والفرج، والفم

(108) - والنقاد: صغير الغنم، التبريزي، والبطليوسي، والخوارزمي، شروح سقط الزند، مصدر
سابق، ص 2/578

(109) - التبريزيّ، والبطليوسي، والخوارزمي، شروح سقط الزند، المصدر نفسه، ص 2/591

وفي قصيدة يرثي المعريّ أبا إبراهيم العلويّ، واصفا إياه بالفروسية، والشجاعة، يقول المعريّ:

بني الحسب الوضاح والشرف الجمّ..... لسانيّ إن لم أرثُ والدكم خصمي
بكى السيف حتى أخضَلَ الدمعُ جفنه..... على فارس يرويه من فارس الدّهْم
والدهم: الجيش العظيم، يقول: بكى السيف على أبي إبراهيم حتى أروى بدمعه
يابس القراب، كما كان المرثيّ يرويه بالدم أيام الحرب⁽¹¹⁰⁾.

وبالله ربي ما تقلد صارما..... له مشبه في يوم حرب ولا سلم
ولا صاح بالخيّل: اقدمي في عجاجة إذا قيل: حيدي قال في ضنكها: أمي
يقول: كان الفارس إذا جبن وزجر فرسه عن التقدم قال هذا الفارس المرثيّ
لفرسه: اقصي العدو⁽¹¹¹⁾. ويقول المعريّ:

كأن حباب الكأس وهي حبيبة..... إلى الشرب ما ينفي الحباب من السّم
يقول التبريزيّ: إن المرثي كان من شدة كراهيته للخمر يبغض حبابها، فكأنه
عنده سمّ⁽¹¹²⁾.

فيا معشر البيض اليمانية اسألني..... بنيه طعاما إن سغبت إلى اللحم
ويعني: أن أولاده شجعان، يشهدون الحروب، فإن سغبت إلى اللحم فسلي
أولاده يطعموك⁽¹¹³⁾.

(110) - التبريزيّ، والبطلبيوسيّ، والخوازميّ، شروح سقط الزند، مصدر سابق، ص 3/949

(111) - التبريزيّ، والبطلبيوسيّ، والخوازميّ، شروح سقط الزند، المصدر نفسه، ص 3/954

(112) - التبريزيّ، والبطلبيوسيّ، والخوازميّ، شروح سقط الزند، المصدر نفسه، ص 3/956

(113) - التبريزيّ، والبطلبيوسيّ، والخوازميّ، شروح سقط الزند، المصدر نفسه، ص 3/958

ويقول المعري:

مناجيدُ لبّاسون كلِّ مفاضةٍ..... كأنَّ غديراً فاضَ منها على الجسمِ
فهم شجعان، ينجدون الناس، والمفاضة: الدرع السابغة، والدرع تشبه الماء
المفاض⁽¹¹⁴⁾.

كأنهم فيها أسودٌ خفيّةٍ..... ولكنْ على أكتادِها حُلُّ الرِّقمِ
والأكتاد: واحدها كتد وهو مجتمع الكتفين، والمراد: أنهم أسود إلا أنهم يلبسون
حلا تتخذ من الزرد، فتشبهه جلود الحيات المرقطة⁽¹¹⁵⁾. ثم يقول المعري:
فهذا وقد كان الشريف أبوهم..... أميرَ المعالي فارس النثر والنظم
يقول الخوارزمي: إن هؤلاء الأبناء ملوك الأنام كما كان أبوهم ملك
الكلام⁽¹¹⁶⁾.

- الخصائص الفنية لشعر الفروسية ديوان (سقط الزند) للمعري:

ومن خلال الأبيات السابقة في شعر الفروسية بجانبه المادي والمعنوي لدى
المعري يمكن استنتاج أهم الخصائص الفنية التي طبعت شعره في ديوانه (سقط
الزند)، وهي كالآتي:

1- جزالة اللفظ وقوتها⁽¹¹⁷⁾، إذ يقول المعري:

يذيب الرعبَ منه كلُّ غضبٍ.... فلولا الغمْدُ يمسه لسالا

⁽¹¹⁴⁾ - التبريزي، والبطلبيوسي، والخوارزمي، شروح سقط الزند، المصدر نفسه، ص3/960

⁽¹¹⁵⁾ - التبريزي، والبطلبيوسي، والخوارزمي، شروح سقط الزند، المصدر نفسه، ص3/961

⁽¹¹⁶⁾ - التبريزي، والبطلبيوسي، والخوارزمي، شروح سقط الزند، المصدر نفسه، ص3/966

⁽¹¹⁷⁾ - الخوaja، زهدي صديري، موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي

العلاء المعري، مرجع سابق، ص382

توهم كل سابغة غديرا..... فرثق يطلب الحلق الدخالا
ملأت به صدورا من أناس... فلاقت عن ضغائنها اشتغالا

فهو يشير إلى شجاعة الممدوح الفائقة التي انسحبت على سيفه، والتي تهابه كل السيوف، فأصبحت تسيل من شدة خوفها، ولكن الغمد يمسكها عن السيلان، فيتوهمه الناظر غدير ماء.

2- حسن السبك، والبراعة في اقتناص المعاني⁽¹¹⁸⁾، يقول:

شكا فتشكت الدنيا ومادث..... بأهلها الغوائر والنجاد
وأرعدت القنا زمعا وخوفا..... لذلك والمهندة الحداد
وكيف يقر قلب في ضلوع..... وقد رجفت لعلته البلاد

3- تقليد الشعراء، أو التناص معهم، وبخاصة الجاهليين، فقد حفظ المعري

أشعار العرب، واستوعب عباراتهم، وصورهم، ونظم على منوالهم في موضوعات عدة، وبخاصة في غرض الفروسية والحرب، فنراه يحذو حذوهم في المدح، ووصف الخيل، والحرب، وأدواتها: من السيوف والرماح⁽¹¹⁹⁾.

فقد تناص المعري مع الشاعر الإسلامي حسان بن ثابت؛ إذ يقول:

ونحن إذا ما عصبنا السيوف..... جعلنا الجماجم أغمادها

وقوله:

(118) - الخوaja، زهدي صبري، موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي

العلاء المعري، مرجع سابق، ص387

(119) - الدهون، إبراهيم مصطفى، التناص في شعر أبي العلاء المعري، ط1، عالم الكتب

الحديث، إربد، 2011، ص37

فإن عشقتُ صوارمك الهوادي... فما عدمتُ بمن تهوى اتصالاً⁽¹²⁰⁾

ويتناصّ المعريّ مع الحطيئة؛ إذ يقول الحطيئة:

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكريا

ففي قول المعريّ يصف السيف على لسان درع تناصّ مع البيت السابق

للحطيئة:

تقيء غروبهن الزرق عني..... بلا كرب يعد ولا عناج⁽¹²¹⁾

وقد تعرف المعريّ على ديوان المتنبي منذ حدثته، وتتلّمذ على يد ابن سعد

راوية المتنبي، فأعجب بأرائه، وحكمه، وشخصيته القوية، وفروسيته، فيتناصّ معه

في قوله يمدح أحدهم بنفاذ العزم ومضاء الهمة؛ إذ يقول المعريّ:

إذا سقت السماء الأرض سجلاً سقاها من صوارمه سجلاً

متحدثاً عن سقياه لأرض العدو فقد سقتها السماء ماء قبل مجيئه، لكنه

أسبغها دماً عندما حلّ فيها، فإنه يسقي الأرض من سيوفه بدماء أعدائه أكثر مما

تسقيه السماء المطر، وهذا تناصّ مع مدح المتنبي سيف الدولة في قصيدة قلعة

الحدث الحمراء، يقول المتنبي:

هل الحدث الحمراء تعرف لونها وتعلم أيّ الساقيين الغمائم؟

سقاها الغمام الغرّ قبل نزوله فلما دنا منها سقتها الجماجم⁽¹²²⁾

ومما يزيد في هيبه الممدوح وإبراز صورة الرماح وهي تطيعه متمكنة من

قلوب الأعداء، يقول المعريّ:

⁽¹²⁰⁾ - الدهون، إبراهيم مصطفى، التناص في شعر أبي العلاء المعريّ، مرجع سابق، ص 58

⁽¹²¹⁾ - الدهون، إبراهيم مصطفى، التناص في شعر أبي العلاء المعريّ، مرجع سابق، ص 62

⁽¹²²⁾ - الدهون، إبراهيم مصطفى، التناص في شعر أبي العلاء المعريّ، مرجع سابق، ص 86

تكاد قسيه من غير رامٍ تمكن في قلوبهم النبالات
وهذا تناصّ مع قول المتنبي في مدحه لسيف الدولة؛ إذ يقول:
كأن القسيّ العاصيات تطيعه هوى أو بها في غير أنملة زهد
يكاد يصيب الشيء قبل رميه ويمكنه في سهمه المرسل الردّ⁽¹²³⁾
وفي شدة البأس والثبات والمجابهة ومقارعة الأعداء يقول المعري:
يتهللون طلاقة وكلومهم ينهلّ منهن النجيع الأحمر
وهذا تناصّ مع قول المتنبي يمدح سيف الدولة:
تمرّ بك الأبطال كلمي هزيمة... ووجهك وضاح وثغرك باسم⁽¹²⁴⁾
4- حسن التقسيم، ومنه قوله:

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل..... عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلٌ
5- حسن المطلع، فمن أجمل قصائد أبي العلاء المعريّ قصيدته (النونية)
التي يجيب فيها أبا إبراهيم موسى بن إسحق عن قصيدة مطلعها :
غيرُ مستحسنٍ وصالُ الغواني بعدَ ستين حِجّةٍ وثمانٍ
فأجابه المعريّ بقصيدة مطلعها :
علّاني فإنّ بيضَ الأمانِي فنَيْتُ والظلامُ ليسَ بفاني¹²⁵

⁽¹²³⁾ - الدهون، إبراهيم مصطفى، التناص في شعر أبي العلاء المعريّ، مرجع سابق، ص 87

⁽¹²⁴⁾ - الدهون، إبراهيم مصطفى، التناص في شعر أبي العلاء المعريّ، مرجع سابق، ص 89

¹²⁵ - المعريّ، ديوان سقط الزند، مصدر سابق: ص 90، لفظة (بفاني: الصواب بفانٍ، لأنها اسم منقوص جاء نكرة مجرورة، تحذف الياء، وتُعوّض بتنوين كسر، ولكن جاءت للضرورة الشعرية، وتعرب الباء زائدة في خبر ليس، وفانٍ: اسم مجرور لفظاً منصوب محلاً على انه خبر ليس).

إذ يطلب- على طريقه الشعراء القدماء في مخاطبة الاثنين- أن يلهياه عن أحزانه لينساها؛ إذ إن أمانيه البيضاء قد تبخرت، فلا هدف في الحياة، وظلام الليل الدامس طويل إلى ما لا نهاية.

6- **المبالغة**، وهذه سمة غالبية على شعره بعامة، وشعر الفروسية والمدح بخاصة، وهي من أهم ميزات أسلوب المعري الفنية⁽¹²⁶⁾، يقول المعري:

أَعْنِ وَخَدِ الْقِلَاصِ كَشَفْتِ حَالًا وَمِنْ عِنْدِ الظَّلَامِ طَلَبْتِ مَا لَا¹²⁷

فالشاعر ينكر على نفسه كثرة الأسفار والترحال طلباً للمال، وينكر كذلك عليها ما توهمته من إمكان طلب المال من عند الظلام، فليس الظلام محلاً لطلب المال⁽¹²⁸⁾

7- **الفخر بالنفس بدرجة كبيرة وصلت إلى حدّ التعالي والغرور**، فقد استخدم المعري أوصاف الإبل في الفخر بنفسه؛ للمقارنة بينه وبين الشعراء الذين أرادوا هجاءه والنيل منه، فهو الفحل القوي وهم الناقة العشراء الضعيفة؛ إذ يقول⁽¹²⁹⁾:

وَرَائِي أَمَامٌ وَالْأَمَامُ وَرَاءُ إِذَا أَنَا لَمْ تُكْبِرْنِي الْكُبْرَاءُ
وَمُدُّ قَالَ: إِنَّ ابْنَ اللَّيْمَةِ شَاعِرٌ ذَوُو الْجَهْلِ مَاتَ الشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ
تُساوِرُ فَحَلَ الشَّعْرِ أَوْ لَيْثٌ غَابِهِ سِغَاهَا وَأَنْتِ النَّاqَةُ الْعَشْرَاءُ⁽¹³⁰⁾.

¹²⁶- الأشر، أبو العلاء المعري، مرجع سابق، ص35.

¹²⁷- الوخد: السير السريع، والقلاص: جمع قلوص وهي الفتية من الإبل، انظر شرح سقط الزند: ص21.

¹²⁸- المعري، سقط الزند، مصدر سابق، ص21.

¹²⁹- المعري، سقط الزند، مصدر سابق، ص83-84.

8- دقة التصوير: فقد شبه الأصدقاء المتلونين ذي الوجهين بالماء تارة يبدو

لك صافياً، لكنه يخفي المكر في حالة الكدر، يقول المعري:

لا تَطْوِيَا السَّرَّ عَنِّي يَوْمَ نَائِبَةٍ فَإِنَّ ذَلِكَ دَنْبٌ غَيْرُ مُغْتَفَرٍ
والخُلُّ كالماء يُبْدي لي ضمائرَه مع الصِّفاء ويُخْفِيها مع الكَدْرِ⁽¹³¹⁾

الخل: بمعنى الصديق، والصفاء: عكس الكدر، وهي طباق بديعي، وكذلك الطباق في (بيدي ويخفي)، فهو يقول: إن الماء إذا صفا بيدي ما تحته، وإذا كدر يخفيه، وكذلك صديق السوء⁽¹³²⁾.

9- كثرة استخدامه للمحسنات البديعية، وبخاصة أسلوب التجنيس، والطباق

لغايات عدّة، منها: جمال المعنى، وروعة الألفاظ، وعذوبة الإيقاع الداخلي، وإظهار قدرته الشعرية؛ إذ يقول⁽¹³³⁾:

رَكِبْتَ اللَّيْلَ فِي كَيْدِ الْأَعَادِي وَأَعْدَدْتَ الصَّبَاحَ لَهُ صَبوحاً⁽¹³⁴⁾

ففي كلمتي (الصباح، والصبوح) جناس ناقص، وفي كلمتي (الليل، والصبح) طباق إيجاب.

النتائج والتوصيات

130 - وتساور: بمعنى تواتب، والفحل: الذكر من كل الحيوان، وجمعها فحول وأفحل، وفحل الإبل: أكرمها¹³⁰، والليث: من أسماء الأسود، والسفاه: الحمق، والناقاة العشرة: الحامل لعشرة أشهر وتوصف بالوهن والضعف، انظر المعري، سقط الزند، مصدر سابق، ص ٨٤.

131 - المعري، سقط الزند، مصدر سابق، ص 39

132 - المعري، سقط الزند، مصدر سابق، ص 39.

133 - المعري، سقط الزند، المصدر نفسه، ص: ٥٨

134 - ويعني بالليل: فرسه الأسود، وبالصبح: اللين (من الإيهام)، والصبوح: شراب اللين صباحاً، وعكسه الغبوق. انظر المعري، سقط الزند، مصدر سابق، ص ٥٨.

من خلال استعراض شعر الفروسية – بشقيها: الماديّ، والمعنويّ - في ديواني المتنبي والمعريّ يمكن عرض النتائج الآتية:

1- اتسم الشاعران كلاهما بحدّة الذكاء، وسعة الحافظة، وعلوّ الهمة، والتعلق بالقيم العربية الأصيلة.

2- تشابه البيئة العامة لدى الشاعرين زمانيا ومكانيا، فعصر المعريّ قريب من عصر المتنبي، ويشبهه كثيرا من حيث: الفساد السياسيّ، والاجتماعيّ، وانتشار الفتن، والتحلل من القيم، وضعف الوازع الدينيّ، وانتشار الطائفية، كما عاصرا الثورات العقلية، والردّة العقديّة، وانتشار المذاهب الفلسفية المنحرفة، ما أدى إلى توحّد النظرة بينهما نحو الحكام، والناس.

3- اختلف الشاعران في أسلوب المقاومة لتلك الأوضاع، فالمتنبي قاوم الأوضاع بلسانه ويده، بينما كان المعريّ أعمى، فلم يملك إلا لسانه.

4- كان لاختلاط الشاعرين بسكان الصحراء في بادية العراق أثر كبير في إكساب شعر الفروسية لديهما قوة وجزالة في الألفاظ والتراكيب، وحب الفروسية، ومدح الفرسان العرب، والتغني بأخلاقهم السامية .

5- وأمّا البيئة الخاصة فقد اختلفت أشد الاختلاف بينهما، فالمعريّ من بيت علم، وفضل، وغنى، على عكس المتنبي الفقير، ما دفع المتنبي إلى مدح الأمراء والأغنياء؛ ليسدّ هذا النقص، ناهيك عن شعوره بالنقص في نفسه، فاجتهد في الفخر بنفسه، ودعا إلى عدم التوسط في الأمور؛ بل المجازفة للوصول إلى أعزّ الأمانى، بينما زهد المعريّ في المدح للتكسب، وحرص على الحياة الهادئة، والرضا بالقليل، وهذه العوامل كان لها الأثر الكبير في تكوين شخصيتهما النفسية والعقلية، والفكرية، والتي انعكست على شعر الفروسية من حيث الألفاظ والتراكيب، والأسلوب.

6- يعدّ النقاد والأدباء أبا العلاء المعريّ أعظم راوية لشتى المعارف العربية والحضارية، لكن المتنبي يفوقه في المعارف اللغوية العربية التي استقاها من منابعها الأصلية وهي البادية، وقد سخر المتنبي اللغة في وصف المعارك الحربية التي شارك فيها مع سيف الدولة الحمدانيّ، وكذلك سخر المعريّ نفسه لخدمة اللغة التي أبدع فيها في وصف أدوات الحرب، وبخاصة الخيل، والسيوف، والدروع.

7- المتنبي شاعر مديح؛ فقد كان فقره وشعوره بالطموح سبب في ميله نحو المدح، الذي يصل إلى حدّ الاستجداء، يقول المتنبي مادحا شجاع بن محمد:

أمطر عليّ سحاب جودك ثرة ... وانظر إليّ برحمة لا أغرق

كذب ابن فاعلة يقول بجهله ... مات الكرام وأنت حيّ ترزق⁽¹³⁵⁾

أما المعريّ فنشأ في بيت عزّ، وفضل، فلم يضطر الى الاستجداء، أو التكسب، يقول:

وما شعراؤكم إلا ذئاب... تلصص في المدائح والسباب⁽¹³⁶⁾

لكنّ المديح لدى المتنبي والمعريّ أجمل ما يكون عند تصوير مواقف الفروسية والشجاعة لدى الممدوحين كما رأينا سابقا، فقد برعا في تعداد شجاعة الممدوحين، ومناقبهم، وبطولاتهم الفائقة.

8- اللجوء إلى المبالغة المفرطة لدى الشاعرين، وبخاصة وصف المعارك والغبار الكثيف الأسود خلالها، وقوة الجيوش العربية، والخيول الأصيلة، وكذلك

(135) - البرقوقي، شرح الديوان، مصدر سابق، 79/3

(136) - المعريّ، أبو العلاء، اللزوميات، ط1، دار الفكر، بيروت، 1974، مج1/339

تمجيد الأخلاق العربية الأصيلة لدى الممدوحين، وهجاء العدو والتشفي بهزيمتهم، وكسر معنوياتهم أمام الممدوح البطل، وهي مبالغة مقبولة في هذا المقام.

9- تربّع المتنبّي على قمة المجد الأدبيّ عند الحمدانيين، فلم يعد يعمل جهده لإظهار براعته الفنية، فانصرف إلى المحسنات الأسلوبية: كالجناس، والألفاظ القديمة، والكناية الواضحة، والمجاز الحسن، والتورية البارعة، وحسن التقسيم، والمطالع، والتصريع، والترصيع، والطباق، وجمال التشبيه، وإذا أراد وصف سرعة الخيل، وغارة الفرسان، يقول:

فكأن أرجلها بتربة منبج....يطرحن أيديها بحصن الران

فهو واصف ماهر، يشرك عدة معان في صورة واحدة، فقد شبه الجيش في سرعة حركته بأجنحة العقاب، واستغل هذا التشبيه في مدح الأمير، وجعل ذلك العقاب يهز جناحيه في قوة ورشاقة، ما يشي بمتانة السبك، وحلاوة التنعيم.

وكذلك المعريّ الذي اقتفى اثر أستاذه المتنبّي، فهو مصورّ مبدع، يحشد كل طاقاته اللغوية والبلاغية في رسم الصورة الشعرية للخيل او السيوف، أو المعركة؛ إذ يقول:

وأغدو ولو أن الصباح صوارمٌ....وأسري ولو أن الظلام جحافل

ويقول المعريّ مفتخرا بحصانه العربيّ الأصيل السريع الأشقر:

وقد أغتدي والليل يبكي تأسفاً..... على نفسه والنجم في الغرب مائل

بريحٍ أعيرت حافرا من زبرجدٍ.....لها التبرُّ جسمٌ واللجينُ خلاخل

10- ميل المتنبّي إلى استخدام الحكمة في مواقف الفروسية، يقول:

الرأي قبل شجاعة الشجعان... هو أول وهي المحلّ الثاني

فإذا هما اجتماعاً لنفس مرة... بلغت من العلياء كل مكان

لولا العقول لكان أدنى ضيغم... أدنى إلى شرف من الإنسان⁽¹³⁷⁾

وأما المعريّ فكان يورد الصور البلاغية الجميلة التي تدلّ على حسن السبك والتصوير رغم العمى، وسار على خطى أستاذه في استخدام الحكمة في مواقف الفروسية؛ إذ يقول:

وما كان يغني القرن عن حمل سيفه... إذا الحربُ شبتْ كثرةً من سهامِهِ

11- تأثر المعريّ بالمتنبي، والتناصّ معه في شعر الفروسية: فقد تعرف المعريّ على آثار المتنبي منذ صغره، وتلمذ على يد ابن سعد راوية المتنبي، فأعجب به، وحفظ شعره، وقلده في اتجاهاته الفكرية، والحكمية، وميوله الحربية، وكان إذا ذكر الشعراء يقول المعريّ: قال أبو نواس، وقال البحتريّ، وقال الشاعر المتنبي؛ تعظيماً له، واهتم بآثاره الشعرية، فشرح ديوانه، وسماه (معجز أحمد)، وكان يحاول المعريّ أن يحذو حذوه في اتجاهاته وأساليبه، فنجد وحدة الغاية عندهما واختلاف الوسائل لتحقيق تلك الغايات.

12- تميّز شعر الفروسية لدى كلا الشاعرين بالقوة المدويّة، وهي أكثر ما يميز أسلوب الشاعرين، فقد تجلت في شعرهما قوة البداوة، وعزتها، وقد أجادا من حيث جزالة الألفاظ، وفخامة العبارات، ورصانة الأسلوب، فقد كان المتنبي كثير التغني بالفروسية، والقتال، والقوة، وذلك من خلال لوحات خالصة الفن، فقد أثر هذا الاتجاه؛ لأنه يشبع شجاعته، وطموحه، ففي طبعه الحماسة، فشعره الحربيّ يثير الإعجاب من ناحية المعاني المطروقة، والأسلوب الذي يمتاز بقوة السبك، والتعابير المتناسقة، وصدق العاطفة، والمعاني الدقيقة، والروح القتالية الثائرة، والحكمة الحربية الصائبة، والحث على الشجاعة، ولا يقلّ المعريّ حظاً عن أستاذه

(137) - المتنبي، الديوان، 307/4

المتنبي في هذا الجانب؛ نظرا لتشابه البيئة العامة والخاصة نوعا ما، والحياة السياسية والفكرية التي عاشا في ظلها.

12- وأخيرا أستطيع القول: إن كلا الشاعرين المتنبي والمعريّ قد أوليا شعر الفروسية المقام الأول في ديوانيهما من جانبيه: الماديّ (كوصف آلات الحرب من: خيل، وسيف، رمح، وفنون القتال، ووصف المعارك)، والمعنويّ (كوصف أخلاق الفارس العربيّ، والقيم السامية، والأخلاق النبيلة التي يتحلى بها الفرسان العرب)، وذلك من خلال أغراض: المدح، والرثاء، والفخر، وهجاء الأعداء، والحكمة، وقد أجادا في ذلك أيّما إجادة، واستخدما كلّ طاقاتهم الفنية والشعرية في تصوير مواقف الفروسية، والإشادة بالفرسان، ما أكسب شعر الفروسية لديهما سمة الصدق الفنيّ، والواقعية، والخلود.

لذا توصي الباحثة أن يتم تضمين أشعار الفروسية في مناهجنا التعليمية؛ لما تحمله من آثار نفسية إيجابية على أجيالنا، وما تدعو إليه من قيم سامية، ناهيك عن ربطها بتاريخنا المجيد.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- 1- الأمدي، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991.
- 2- البرقوقيّ، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.
- 3- البغداديّ، أبو بكر أحمد بن عليّ (ت:463هـ) تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1، 1422هـ - 2002م.

- 4- التبريزي، والبطلوس، والخوازمي، (502هـ)، شروح سقط الزند، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، إشراف طه حسين، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م.
- 5- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت: 852هـ)، لسان الميزان، ط2، تحقيق: دائرة المعارف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1390هـ / 1971م .
- 6- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: 626هـ)، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ط1، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414 هـ - 1993 م.
- 7- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت: 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1998.
- 8- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، نزهة الفضلاء، ط2، إعداد الدكتور محمد موسى الشريف، مؤسسة أم القرى، مصر، 2012م.
- 9- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: 748هـ)، تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام، ط1، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م.
- 10- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، (ت: 562هـ)، الأنساب، ط1، تحقيق: عبدالله البارودي، دار الجنان، بيروت، 1962م.
- 11- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 2001م.

- 12- الصفديّ، صلاح الدين خليل بن أيبك (-764هـ)، **نكت الهميان في نكت العميان**، ط1، تعليق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1428 هـ - 2007 م.
- 13- عنتره، ديوان عنتره، ط2، المكتبة العلمية، بيروت، 1993.
- 14- العينيّ، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد (ت: 855هـ)، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1431هـ/2010م.
- 15- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (-817هـ)، **القاموس المحيط**، ط1، شركة القدس للنشر والتوزيع، مصر، 2009.
- 16- اليافعيّ، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد(ت: 768هـ)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997 م.
- 17- المتنبّي، أبو الطيب، **ديوان المتنبّي**، شرح عبد الرحمن البرقوقيّ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.
- 18- المعريّ، شرح سقط الزند، ط2، شرحه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.
- 19- المعريّ، أبو العلاء، **اللزوميات**، ط1، دار الفكر، بيروت، 1974.
- 20- ابن منظور لسان العرب ابن منظور، محمد بن مكرم بن عليّ، أبو الفضل، جمال الدين (ت: 711هـ)، **لسان العرب**، ط3، دار صادر - بيروت، 1414 هـ.

المراجع:

- 1- الأشتر، صالح. **أبو العلاء المعريّ**. بيروت: دار الشرق العربيّ، 1973.

- 2- إلياس، سعد غالي، بحوث علانية، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997.
- 3- أنيس، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، ط2، دار القدس، مصر، 1972.
- 4- بومزار، فوزية، مفهوم الفروسية في التراث العربي وأثره في فروسية القرون الوسطى في أوروبا، دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والإعلام بغداد، 1986.
- 5- الجندي، محمد سليم، الجامع في أخبار أبي العلاء وأثاره، تحقيق: عبدالهادي هاشم، دار صادر، 1992م.
- 6- الحطاب، عبد الهادي خضير، المتنبي في المعيار النقدي، ط1، دار صفاء، عمان، 2010م.
- 7- الخوaja، زهدي صبري، موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء المعري، ط1، دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، الرياض، 1982.
- 8- زاهد، زهير غازي، لغة الشعر عند المعري: دراسة لغوية فنية في سقط الزند، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1989م.
- 9- الدهون، إبراهيم مصطفى، التناس في شعر أبي العلاء المعري، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، 2011.
- 10- السقا، مصطفى، تعريف القدماء بأبي العلاء، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1986م.
- 11- سلامة، محمد أحمد، الخيل والفروسية، دار الفكر العربي، مصر، 1993.
- 12- سلطان، منير، الصورة الفنية في شعر المتنبي، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2002.

- 13- ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي. مصر، دار المعارف، ب.ت.
- 14- عبد الوهاب عزام، نكرى أبي الطيب بعد ألف عام ، ط3، دار المعارف بمصر، 1968.
- 15- عمار، شلواي، درعيات شاعر الليل، ط1، عالم الكتب، إريد، 2010.
- 16- أبو مصلح، كمال، أبو العلاء المعري: حياته، وشعره. بيروت، المكتبة الحديثة، 1986.
- 17- أبو ناجي، محمود حسن عبد ربه ، الحرب في شعر المتنبي، ط2 ، دار الشروق، السعودية، 1980.
- 18- يوسف البديعي، الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، تحقيق مصطفى السقا دار المعارف بمصر، 1963.